عيون الظلام

صدلغيم

رواية

داليا مسعد

الطبـعــة الأولـــــــى

2021م- 1442هـ

ديـــــــوان العـــــرب

للنشر و التــوزيـــــع

جمهورية مصر العربية - بورسعيد

عنـــوان الكتاب: عيون الظلام" صدلغيم"

اســـــم المـؤلف: داليا مسعد

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقـم الإيـــــداع: 2799 / 2021

الترقيـــم الدولي: 3 - 86 - 6749 - 977 – 978

تـصـمـيـم الغلاف: م. منى الموجي

التدقيــق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

عيون الظلام

صد لغيم

روايـة

داليا مسعد

2021

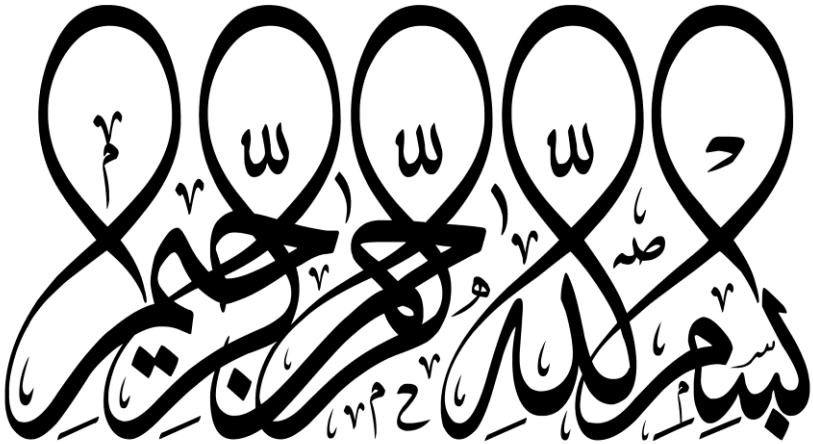
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

لكل شجاع يخرج من فزع نومه ببسالة،

لكل قوي يتغلب على أفكاره ووساوسه ويحاربها..

ولكل من اقترب من الخوف وانتصر عليه،

كن أبياً وحارب من أجل أن تحيا أقوى اطوِ الصفحة هذه

وخُض معركة الأقوياء...

داليا مسعد

❊❊❊❊

الفصل الأول

عيون الظلام

أراهم الآن.. أراهم كل لحظة.. تلك العيون التي تُخيفني عندما يأتي الليل وعيناي تلمسان أي ظلام أراهم دوماً أمامي باستمرار.

أنا فتاة عادية يمر عليَّ أوقات كثيرة أفكر.. أنظر إلى اللاشيء ساعات، أفكر بحياة جديدة بعيدة عن ضجيج بيتنا الذي لا يخلو من الأشخاص.. البيت الذي أبحث فيه دوماً عن الخصوصية ولا أجد أبداً،

حياة... هذا اسمي ولكن منذ عدة أشهر أعيش دوماً بلا حياة عندما أرى هذه العيون، من هذه!!

ماذا تريد مني؟

يا ويلتي عندما تراقبني أشعر بالخوف، بالرعب أنزل تحت غطائي مرتجفة أبحث عن مخبأ أسكن فيه بعيداً عن ملاحقتهم لم أفعل لهم شيئاً أبداً!!

في بادئ الأمر أدخل إلى سيريري وأضع جسدي بأمان وكان الأرق ينال مني كثيراً والغفو يذهب عني حينها كنت أشعر بهم بأنفاسهم حولي لا أرى غير العيون، عيون خضراء دائرية.. وحمراء بلا حدقة، وأخرى صفراء مسحوبة للخلف، إني أرتعد الآن وأنا أحكي.. أطرافي تقشعر وبدني لا أشعر به.

عندما يحضرون يُدفَأ جسدي وجلد جسمي يشتد من بعضه، وشعر جسدي يقف، أنحاء جسدي لا تخلو من الحبوب الخشنة، بعدها أشعر أنهم كثيرون حولي يحيطوني.. يمسكون جسدي.. أريد أن أحرك كاحلي.. أحضن أختي.. ولكن لا مفر، بعدها أشعر بالشلل.. موجودة، ولست حاضرة أكون هناك معهم.. مايزال جسدي دافئاً، يحدثوني بهمهمات لا أفهمها ولكن جسدي

ينتفض من صداها، أحاول أن ألملم نفسي من بين أيديهم لا أقدر... يا ويلي، بعد وقت لا أعلم كم هو.. روحي ترجع لجسدي أتنهد بعمق أقوم من سريري وكُلي أنين وتعب وعرق.. أغتسل وأضيء الأنوار أظل مفتوحة العينين حتى يأتي الصباح، أول مرة رويت لأمي ما حدث تقول لي: قومي بلا تخريف ضعي تحت وسادتك السكين أو شيئاً من فضة وكل الكاوبيس ستذهب.

كوابيس ماذا التي تأخذني لعالم لا أعرفه؟!!

أخي لا يصدقني وأختي صغيرة لا تعي ما أقول

ماذا أفعل؟

في ليلة.. حاولت التماسك وعزمت أن لا أضعف أمامهم وأغلقت عيني أحاول النعاس.. شعرت بهم لم أفتح عيني قلت في نفسي.. سأقوى وأكون عليهم بشدتي.. كانت الأصوات تئن وأنا لا أفتح عيني.. بدأ جسدي يسخن وقلبي تزداد دقاته،

لاا!... توقف.. سيسمعون خفقانك اصمت قليلاً، لا أريد أن ينالوا مني.. بعد وقت.. الصوت اختفى، جسدي اختفت حرارته قلّت حمداً لله أنهم ابتعدوا أخيراً وفتحت عيني كي يطمئن قلبي، ولكن فجأة....

أكتب من جديد بعد عدة أسابيع من الحادث... أقصد.. حياتي الجديدة لا الحياة التي كانت جديدة بعد ما بدأت أعيش أحلى وأعذب أوقات.. سأروي

لكم أكثر أوقات خوفي.. هههههه.. كنت بلهاء حقاً نعم.. كنت في أشد الوقت الحمقاء في هذا العالم، ولكن الحدث الشيء الذي طالما أبحث عنه... عندما فتحت عيني كان حولي سواد حالك.. لست على سريري بجوار أختي.. كنت واقفة أسمع صوت بحر.. بصوت الطيور وبدأت أرى العالم.. السماء صافية كنت أقف على الماء.. يا ويلي!!! ما هذا أقف على الماء، كان انبهاراً يفوق الحدود حين اقشعر بدني عندما لمسني لأول مرة من خصري والتف لأراه.. آاااه هو شاب يافع وسيم.. وسيم حقاً أبيض البشرة عيناه فيها لمعة وبريق.. كبريق شمس أول النهار في نفسه اطمئنان.. ومع زفير وشهيق كأن العالم يبث من رِئتيه،

_ من أنت؟ ولما سمحت لنفسك أن تلمسني

أجابني بصوته العذب:

_ أنا ظِلّك أنا روحك.. وأمانك.. أنا دقات قلبك النابضة

_ ماذا؟؟ .. لست أفهم؟؟ من أنت؟؟

_ أنا أحبك منذ زمن.. وكنت أخطفكِ من عالمك وأعبث معكِ وأضحك.. ونطير بين ثنيات الجبال.. سافرنا أنا وأنتِ كثيراً ألا تتذكرين؟ أنا مَنْ كنتُ آخذك وأطير.

_ أجبت: ولكن أنت تحكي عن أحلامي التي أنعس وأراها

_ نعم يا حياة.. أنا من آخذك وأطير بك

_ لماذا؟؟

_ لأني أحبك

_ من أنت؟؟

_ أنا صدلغيم بن موران ابن كبير الجن الطيار.. ألا تسمعين عن الجن الطيار من قبل؟

_ يا ويلي.. أنا أقف مع جن

_ضحك بعينيه اللامعتين.. نعم أنا جِنّي ولكن أحبك.. لا تخافي أنا كنت بجوارك دائماً من مدة من أول نظرة من عينيكِ أحببتك.

_ ماذا؟؟

_ وكانت متى هذه النظرة؟؟

ابتسم وقال:

_ حين كنتِ وحدك تمشين بالليل أمام منزل مهجور تسمونه في عالمكم مكان للنفايات.. كان الجِنّي الصغير يشاغبك ويراود في أفكارك خبايا الظلمات والأفاعي، أهذه كل مخاوفك أيتها الإنسية؟؟

وضحك ونظر لي وأكمل ...

كنت عينيكِ المرتعدتين وشفتيكِ المرتجفة

ولكن أحببتك أكثر اليوم.. حينما رأيتكِ تُظهرين شجاعة مثل شجاعة الرجل في ساحات القتال وقلت هذا اليوم الذي أظهر فيه نفسي لكِ وليس الأحلام.

_ وماذا تريد مني؟

_ أنا أريدك.. أريدك معي في عالمي ولو أردتِ أن تبقي في عالمك وتأتي لي حين شئتِ.

_ماذا... ؟؟ ولكن أنت جِنّي وأنا أخافك.. اسمك وحده مخيف.

_ابتسم وقال: لك أن تقولي أي اسم تحبين.. ولكن لن تبتعدي عني مصيرنا أصبح واحداً وأنتِ ستكونين أم أبنائي.

_ من؟!! لا أنا سوف أرجع.. وأبْعِدْ تلك العيون عني.. تخيفني كثيراً

_ لا.. العيون تحميكِ لا تفكري فيها إنهم جِنّيات تحيطك.. يساعدونني في الالتقاء بكِ.

_ أنا لابد أن أرجع.. وقُلت لك أبْعِد تلك العيون.. لا أريدها حولي ولا أريدهن بجواري وأنت هكذا ابتعد عني..

_قال: لا... أحبك.. ألا تفهمين سأتركِ الآن تعودين وغداً لنا لقاء.

صحوت من نومي الذي ما كان نوماً.. وأبصرت على أختي والغرفة و..و..وتلك العيون، فات وقت وكنت أترقب وأراقب تلك العيون.. حتى ألقاها، ولكن لا أراها... يااااه تركتني أخيراً.

....

كنت خائفة ولا أقدر أن أبوح لأمي ولا أحد قريب..

تذكرت والد صديقتي الذي يتسم بالدين والخلق هو الإنسان الوحيد القادر على فهم ما بي أو يُهَيَّأ لي ذلك.

ذهبت إليه وقلت له كل شيء حدث لي، وكانت صديقتي بين ذهول.. وعدم تصديق.. ولكن هو كان منتبهاً لكلامي جداً ولا يتحدث نهائياً.. كان ينتابني شعور بأنه لا يصدقني! أنا أعرف أن الذي أقوله لا يصدقه عقل، ولكن تفاجأت عندما سألني عدة أسئلة.. وبعدها رقاني وهو يضع يده على رأسي.. اطمئننت جداً لما يقول..

وقال بأنه سيسأل أحد أصدقائه وسيرد عليّ.

بعدها ذهبت إلى البيت مطمئنة بأن الذي حدث أمس لن يحدث الليلة بعد ما قرأ عليّ والد صديقتي كلاماً طمأنني، غفوت بعينيّ ولكن... وفجأة.. ذهبت إلى ذلك المكان ونظر لي وقال:

_ما كنتِ تتوقعينه صحيح؟؟

_صَمَتُّ

_قال: أنا لا أضرك يا حبيبتي وما يقوله لا يؤثر عليّ فأنا أحميكِ.

_قُلت: أنا لست بحبيبتك.

_قال: بلى.. أنتِ حياتي كلها

لبعض الوقت كنت معه.. كان يحاول أن يجعلني أبتسم.. كان يحدثني عن نفسه طويلاً ويطير بي يلاعبني وأنا في الهواء، وبعدها رجعت إلى فراشي لا أعلم إذا كنت غادرت بجسدي مثل روحي من سريري أم لا!!

كنت سعيدة حقاً، كل يوم يأخذني ونطير سوياً ونضحك ونلاعب بعضنا.. كان لطيفاً حقاً، أعجبت بشكله.. بكلامه.. واهتمامه بي، أحببت مرواغته في الكلام الذي كان يغلبني دائماً بحديثه معي وكنت دائماً أُلِحُ على رأيي.. كنت أحب نظرته لي حينما أراه يترك لي الساحة.. وهو يعلم أني خاسرة في معركة النقاش.. كانت ابتسامته تلك أتنفس بها والشوق يداعبني عندما أبقى وحيدة في انتظاره، وكنت ذات مرة على لقاء معه وسألته:

_ لماذا أنا التي أحببتها دون كل البشر والجن؟ ترى دائماً خوفاً يشعر به الإنس وتتلذذ به كما كنت تروي لي، لمَ أنا؟

_قال: أنتِ بداخلك شيء لا أفهمه! كنت أنظر لكِ وأنتِ غير منتبهة لأعلم ما هو ولكن فشلت..

سرت بداخلك عشرات المرات ولم أتمكن منه.. أحببتك لأبحث عنه في روحك.

_ ماذا؟؟ .. سِرت داخل مَنْ!! مني، دخلت بداخلي كيف؟

_ ضحك وقال: هذا شيء سهل علينا وهين كثيراً.. أنتم يا معشر البشر بداخلكم فضاء أسير في أجسادكم كيفما أشاء.

ذُهِلت جداً من كلامه وشعرت بالخوف منه ولكن هو طمأنني.. وقال:

_ أعِدُك أن لا أدخل بجسدك ثانيةً.. هذا وعدي لكِ وأنا يا حياتي أوفي بوعدي وأكمل.. ولكن يجب علينا أن نتزوج قريباً؛ فأنا أتوق شوقاً إليكِ وكيف نتزوج وأنا من البشر وأنت من الجنّ؟

_ قال: هذا سهل جداً.. أتحبين أن تُجَرّبي؟!

_ ماذا؟ .. لا أعرف أنك وقح!!

_ قال: لا... لست بوقح ولكن أنتِ لي.. وأنا لكِ.. وهذا شيء مفروغ منه، ولكن سأجاوبك أنا الآن.. كيف تَرِيني! أبدو لكِ مثل البشر صحيح؟

_ أجبت: بلى

_ قال: هكذا نتزوج مثل طريقة البشر.

وقفت مذهولة وأكملت.. أنت قلت أنّك ترى فِيّ شيئاً غير مفهوم.

  ولو تزوجتني وشغفك بي ذهب ماذا تفعل؟ ستتركني!!!

قلت لكِ أنا أبدو شكلاً كالبشر، ولكن لست ببشري وليس كالبشريين في تمكنهم من النساء وأن يفتر بعدها، وقلبه ينبض لغيرها.. رجال البشر يجرون وراء غرائزهم، نحن نختلف.. عندما نحب لا نفتر ولا نخون.. عندما نؤمن بشيء لا نفعل غيره.

ولكن كيف ستتزوجني؟ أتأتي لأبي وتطلبني؟

وهل أبوكِ يهمه أمرك.. إنه بعيدٌ عنك أنتِ وإخوتك.. وأمك تسير وراءه

أنتِ تختارين.. أن تعيشين معي في عالمي أو أتزوجك وأنتِ تعيشين مع أهلك. الأمرين عندي سواء.

_لا.. لابد أن تطلبني من أبي... نعم أنه لا يعبأ بأمري وأنه خارج المنزل دائماً ولكن أبي يجب أن يعلم.. وأنا لا أريد العيش بعيداً عن أهلي.

أنتِ قلتِ أنّ أباكِ لا يكترث لأمرك وأمك كذلك... والعيش مع أهلك أنا أوافق عليه ولكن يجب أن تعديني أنك لن تتزوجي أبداً

وقتها سأنهي وعدي وأدخل جسدك وأنهي حياتك الزوجية قبل أن تبدأ

لا تتزوجي أبداً.. وإلا حياتك ستكون جحيماً، عليكِ أن تختاري جيداً وتقرري للمرة الأخيرة أين تعيشين.. معي أو مع أهلك

_حسناً.. غداً سأجاوبك

ولكن الذي حدث كان قد أنهى حياتي حقاً.. بعدما وجدت ما أبحث عنه من حب وحنان من أحد يكترث لأمري ويحدثني دائماً وأشعر أنه بجواري وجدت والد صديقتي بمنزلنا ومعه رجل يرتدي جلباباً وعمامة على رأسه.. يقولون إنه رجل دين، وأنه سيخرج الجن الذي يسكنني، وكان والد صديقتي حكى لأبي وأمي على ما رويته له ولكن هما لا يصدقاه وظل يقنعهما حتى جاء برجل الدين أخيراً في هذا اليوم.

كنت جالسة أمام هذا الرجل وبدأ بقراءة القرآن الكريم، وأنا أنظر إليه ولا يحدث شيء.

بعدها صمت الرجل وقال لي:

_ أنتِ تسمعينني؟

_ قلت: نعم

_قال: أنصِتي لي جيداً واسمعي كلامي بقلبك على قدر استطاعتك

_قلت: نعم

أكمل القراءة ولكني أحسست بالنعاس كثيراً وغفوت، وجدته نعم أنا رأيته قال لي ما هذا؟ أنا لست بحاجة لذلك

أنا لا أؤذيكِ لكل هذا، ولكن لإرضاء أهلك وإرضائك سأبعد عنكِ لحين لقائك في وقت قريب، إني أحبك وأريدك، واعلمي أنني لن أبعد عنك أبداً... وفجأة اختفى..

كان العرق يغرقه وهو يكلمني كان يلهث كثيراً، كأنه مريض أو به شيء كنت سأحدثه ولكنه اختفى سريعاً اختفى.. قبل أن أقول له أني أحبه.. وأني أختاره هو، وأختار أن أعيش معه، وأبعد عن كل البشر الذين لا يشعرون بي ويهملون مشاعري ولا يصدقونني، حتى أمي.. التي يقولون أقاويل في الأم.. ولكن ليست بأمي، التي تخرج مبكراً تراقب والدي حين يغادر بحجة أنها تشك بأفعاله، وأنه كاد أن يتزوج ولكن هي منعته في آخر محاولاته دائماً غاضبة مني.. وتقول أنتم السبب أنتم أعباؤكم كثيرة، وأنها لا ترى مقابل لتضحيتها لنا ولا لأبي.

وأبي الذي يدخل البيت بصوته العالي.. والسخط من عيشته معنا وأنه يدفن نفسه في ذلك البيت المزعج الخالي من المشاعر وأن زوجته التي

تكون أمي دائماً تتهمه بالخيانة وأنه مَلّ من معاملتها معه ويريد الخروج من المنزل ولكن ليس بعودة.

أخي الدائم عند أصدقائه أنا أعرف أنه يهرب من المنزل ومشاكله، وأختي الصغيرة المسكينة أشعر بمصيرها.. هو نفس مصيري حتماً.

أنا كنت أريد الذهاب معك.. أكيد أن العيش بعيداً عن هؤلاء البشر والعيش مع الجن أهون، أين أنت؟! تركتني!

واستيقظت من غفوتي على ماء يسير على وجهي من هذا الرجل وقال:

_ أنتِ بخير؟

_قلت: نعم

_قال: أروي لي ما حدث

_لم يحدث شيء

_قال: بماذا حلمتِ؟

_قلت: ما في شيء

_أمتاكدة يا حياة

_قلت: نعم

بعدها سقاني ماء قال أنها مقروء عليها قرآن.. وأن أشرب منها ثلاثة أيام وإذا شعرت بالغثيان لا أمنعه

وقال لي على أشياء أفعلها كل يوم لتحصنني من الشياطين

بعدما ذهبوا احتضنتني أمي كثيراً وقالت لي حتى لا تدخلي الخلاء وتبكي..
قلت لكِ أكثر من مئة مرة لا تبكي في الخلاء.

في الأيام الماضية كانت تفتح المذياع على محطة القرآن الكريم، كانت تقرأ عليّ القرآن قبل نومي، أنا كنت أبحث عنه في غفوي ونومي، ظللت أبحث عنه كثيراً أحدثه عندما أكون وحيدة ولكن لا أمل!

أبكي كثيراً ليأتيني أو حتى أرى تلك العيون، أحدثها في الظلام أين أنتِ يا جنيات الظلام؟ يا عيون الرجل الذي أحبه، ولكن لا جدوى، لا جدوى....

الفصل الثاني

قرين والدي

هناك..

أعيش دوماً بألوانه وبلمساته واشتياقي له، بأحلامي معه أرى كل شيء بعينه عندما أرى مبنى مرتفع أطير بعقلي فوقه وأكتشف الكون من السماء وأنا طائرة. إن الطيران شيء جميل حقاً، أنا أدمنته وأحلم دوماً أني أعيش في الأفق مع الطيور أرى العالم من تحت أشعة الشمس وفوق الجبال.. هكذا حياتي أهرب بمخيلتي وأهرب من واقعي، وأنتظر.

وانتظرت روحك لتطفئ شوقي إليك، انتظرت دفء أنفاسك وبريق عينيك ذهبت ووعدتني بألا تكثر الغياب.. ولكنك أخلفت وعدك..

مرّت سنتان وأنا أعيش بمخيلة كبيرة أتذكره أحياناً.. ولكن النضوج وصل لبعض من الذروة ترك في عقلي ندباته وألم اللحظات الصعبة.. حفرت في قلبي منحوتات بالصبر والتحكم به.. أشعر بالقوة الآن أنا أقوى وأعقل مما كنت.. حمداً لله على ما أنا فيه الآن ...

لا تصدقوا أنني الآن أرتدي دبلة في إصبع يدي اليسرى. هههه أنا لا أصدق عندما تقدم لي آدم ورأيته المرة الأولى شعرت بالارتياح، وعندما سألني أبي على موافقتي.. لم أشعر حتى وافقت، نظر إليّ وكأني لم أخجل من جوابه.. ولكن كان الواقع..

بعد أيام البناء أحببته جداً، هو من أخذني من الخيال إلى الواقع، الواقع حقاً أجمل... أجمل بكثير بعيداً عن الأحلام.

....

ولكن حدث الشيء الذي نسيته أو تناسيته.. أوقات أرى آدم أبشع مما عليه أراه دائماً بقرون محمر الوجه وصوته يبدو مخيفاً.. أنفر منه كثيراً أبتعد عنه، يأتي بجواري يحدثني أحاول الابتعاد، ولكن كان يقترب مع اقترابه أشم رائحة فوق النتنة تخرج من فمه.. وأوقات صديد أصفر وأوقات دم أسود رائحته كريهة حقاً،

_ابتعد عني أرجوك لا أريد رؤيتك..

في البداية كانت نظراته بين الاستغراب وعدم الفهم وسألني ما بي..

_ما بي... ماذا؟

_ماذا بك أنتِ؟..

_ أأنت جني يا آدم أم شيطان، مَن تكون مِن المخلوقات أنت!!

أنت قبيح جداً ماذا حدث لك؟

عندما يبتعد ولا أراه أشعر براحة.. ولكن ليس كل الأوقات أراه هكذا.. أوقات يبقى كما هو آدم الذي تزوجته...

وعندما نكون في أكثر الأوقات الأقرب من بعضنا أسمع ضوضاء صوت عالٍ.. عالٍ جداً، وأصوات أنين.. أنظر له فأرى آدم قد تحول إلى ما كان عليه... يا ويلي من أنت ولمَ تقترب مني هكذا؟ أحاول أن أبعده بكل قوة عني، أطرده وأغلق الغرفة على نفسي. أشعر بالعرق يأتي بغزارة من كل مكان، أتنفس بقوة كأني كنت في سباق..

أسقط ولا أشعر بشيء بعدها إلا في اليوم الثاني

كانت حياتي تكثرها الخلافات، أطلب دوماً الطلاق.
أريد الراحة من شكله ورائحته وهذا البيت الكئيب، لكن إلى أين؟ أمي توبخني، أبي يجبرني بالعيش معه وصل مرة أنه ضربني وقال لي ارجعي بيتك إنه مأواكِ الآن.. ليس لكِ هنا مكان بيننا.
رجعت للبيت كنت أغض البصر عنه كي لا أراه.. بينما يكلمني لا أفهمه من شدة قبحه.. أين العالم يراه ويحكم بيننا.. أوقات حين يغضب مني يلف الحبل حول يدي ويربطني في خزانة الملابس ويجلس ينظر لي ويتكلم وهو ينظر لي بعينيه الجاحظتين لا أسمعه من شدة القرف الذي يحيطه، أوقات يمسك يدي بقوة ويضربني بها.. أخذت منه لكمات مميتة يوبخني كثيراً..
وأوقات يخنقني حتى أفرغ ما بمعدتي.. ذات مرة احتضنني من الخلف ورفعني وقذفني إلى الأرض كادت عظامي كلها تنكسر.. ينهال عليّ ضرباً لا أفهم سببه...
يااا... ماذا أعيش مع هذا الشيء.. ماذا أفعل ياربي
عندما أفرغت من حياتي تركت البيت وذهبت أبحث عن مثولي.. كنت تائهة ولكن جاءتني فكرة صعدت الجسر فوق النهر ووقفت فوق السور الحديدي... سامحني يا الله لقد تعذبت من أقرب الناس لا ملجأ لي إلا إليك.. خذني تريحني مما أعيش ارحمني يا الله
وقذفت نفسي..

فتحت عيني على شروق الشمس، السماء صافية، الأرض كلها خضراء تحيطني أشجار عالية نحيفة من ساقها وشديدة الارتفاع في أعلاها أشياء دائرية كبيرة مثل القطن ليس بها أوراق ولا أغصان.. لا صوت أبداً..

لا... هناك صوت رجل يهمهم يجلس مُنحنياً للأمام يصنع طعاماً.. من هذا؟

وقفت.. واقتربت منه، نظر لي وقال:

_ ابنتي الحبيبة أهلاً يا فؤاد القلب.

_ مع من تتكلم؟

_ حياة.. أتكلم معكِ أنا أبوكِ كنت أراكِ من بعيد ولا أريد التقرب منك ولكن اقتربت عندما رأيتك تنهين حياتك أيتها الغبية!!!

_ ماذا تقول أنت؟

_ أعرف يا عزيزتي أنتِ لا تعرفيني.. سأعرفك على نفسي..

أنا أبوكِ الثاني.. افهميني يا حياة..

أنا قرين أبيكِ في الدنيا ألا أشبهه..؟! وضحك

_ لا... لا تشبهه أنت شاربك كبير وحاجباك مكتظان بالشعر الكثيف.. قليلاً ما تشبهه..

_ نعم يا ابنتي.

_ لا تقول ابنتي أنت تقول إنك قرينه، ووالدي كيف هذا.. من أنت؟ ومن الذي سمح لك أن تأتي بي هنا؟ وكيف أرجع؟

_ اهدئي أولاً وأنا سأخبرك بكل شيء..

أنا والدك... مثل والدك الذي تعرفينه وأمك هي واحدة..
أنتم يا معشر البشر لا تتبعون كلام الله ولا تسلكون الطريق الذي دلكم عليه..
أبوكِ طيلة عمره لا يذكر الله في أي شيء حتى عندما يجتمع بأمك كان لا يسمي.. وأنا كنت دوماً معه في حياته وشهوته..
أتفهمين يا حياة.. أنتِ ابنتي مثلي مثل والدك..
_ يا ويلي ماذا تقول أنت!!
وقعتُ أبكي بشدة لا أفهم كلامه جيداً، ولكن متيقنة من كلامه أن والدي لا يذكر الله في أي شيء.
ربت على كتفي وقال: لا تحزني أنتِ محظوظة حقاً، تمتلكين والدين..
وإذ فجأة الهواء يدور مثل الإعصار.. شعرت بالخوف، ارتعد هو الآخر وأخذني في حضنه ليخبئني..
وظهر من الإعصار شيء على هيئة رجل.. نعم رجل يخرج من الإعصار وقد بدأ الإعصار يهدأ، اقترب منا وهو يضحك وقال:
_ طالما كنت أبحث عن الشيء الذي جذبني إليكِ.. والآن عرفته أنتِ تكونين ابنة لاثنين.. لديكِ عرق جني إذاً!!
وظل يضحك....
_ مَن.. مَن تكون! أأنت صدلغيم؟
_ جيد أنكِ تذكرتيني، وأنا الذي طالما أتذكرك ولست منسية أبداً..

خائنة العهد والحب، خائنة الوعد وكاذبة

_ ماذا؟

_ أنا لست كذلك.. أنت الذي ابتعدت عني بالسنين وكنت أبحث عنك دوماً وأبحث عن عيون جنياتك ولا أراهم. أنت الخائن ولست أنا.

_ أنتِ سئمتي من قليل من الأعوام فقط.. أنتِ لا تعرفين أين كنت أنا وجنياتي أشفق عليهم حقاً مما فعلتِ بهم..

_ لا أفهم شيئاً..

_ جيد أنكِ لا تفهمين.. قلت لكِ وقتها أني أخلف وعدي معكِ عندما تتزوجين، وها أنا الآن.. أقلب حياتك جحيماً الذي وعدتك به

_ أأنتِ من تفعل بي هكذا..؟!

_ نعم يا حياة روحي، عندما رجعت وجدتك بين أحضان رجل غيري وأنا الذي افتقدك بشدة وتمنيت أن أرتمي بين أحضانك وأروي لك ما العذاب الذي ذقته من أثر حبي لكِ.

خائنة وتستحقين ما يحدث لكِ، وستكونين لي ثانيةً، ولكن بعد أن ألقنك درساً لا تنسيه يا حياة.

_ولماذا كل هذا اتركني وشأني فقط وأنت اذهب إلى حال سبيلك،

_اتركك هههههه، بلهاء حقاً.. لا أتركك، الصادقون بالحُبّ لا يملون يا حياتي

أحبك، وقلت لكِ من قبل الذي يحب منا لا يكره ولا يفرغ، أنتِ لي وأنتِ ستكونين أم أبنائي.

_أبداً.. أنا لن أكون لك.. ولن أكون أماً لأحد من أبنائك. ابتعد عني اتركني وشأني.

_ قولي ما تشائين، الأمر لستِ مخيرة فيه الآن، فات أوان الاختيار.

_ وأنت أيها الأحمق لما جئت بها إلى هنا، ألا تعي خطورة هذه الأرض عليها؟!

_ إنها كانت تريد أن تموت وأنا أنقذت روحها.

_ أحمق، إذا رآك أحد سيأسرها، هيا معي.

ذهب ليمسك يدها ولكنها ابتعدت عنه،

_ابتعد عني لا تلمسني، لا أريد المجيء معك وإياك أن تلمسني.. أنا لست حياة التي تعرفها، ولن أكون معك في مكان واحد.

_اتركها وشأنها... اتركها أنا سأتدبر أمرها وسترجع حتماً إلى عالمها.

_من الذي يتكلم!!!

_أنت !!!!

_أهذا تحقير أم تعظيم؟

_ضحك وقال: لا هذا ولا ذلك ابتعد فقط، ولا تتكلم ثانيةً.

_حياة: لماذا تكلمه هكذا لماذا تستصغره بكلامك.

_يا حياة إنه القرين سليمان وأنتِ لا تعرفين من هو القرين، إنه أتفه مما ترين ولا يمكنه حمايتك من الذين يسكنون هذه الأرض.

القرين يولد مع الإنسان ولكن قدرته صغيرة يعيش بجوار صاحبه، يأكل عندما يأكل صاحبه أو يشرب ويهيء له وساوس بلهاء، هذا إذا كان صاحبه غير ذاكر لله...

وإذا كان صاحبه مؤمن ويذكر الله كثيراً في كل شيء، يقعد في ركن الغرف وحيداً ضعيفاً مهملاً ولا يقدر على شيء.

أنتِ ترين سليمان بهذه الهيئة لأن والدك هو من كبّره ببعده عن الدين. لا تغتري به.. هو هيئة فقط لا يقدر على حمايتك.. هيا تعالي معي.

_لا لن آتي معك اتركني سليمان سيعود بي..

ونظرت لسليمان وهو صامت

_ وقال: نعم سأعود بك الآن.

_ إذاً هيا أمامي أنتما الاثنان.

_ولكن أين الطريق؟

تجاهل سؤالها..

نظر إلى سليمان وقال:

_ماهي قدرتك.. ستطير أم ماذا؟

_قال سليمان: لا أنا جني هوائي لا أطير

_صدلغيم: يا لها من تفاهة، هيا أرِني.

ارتفع سليمان وهو يمسك يدي وبدأ صدلغيم يفتعل هواء باتجاه الطريق، وبدأنا نتحرك ليس بسرعة صدلغيم في الطيران، ولكن أسرع من الركض كنا على ارتفاع ليس بكبير..كنت أرى من فوق الأشجار وهذا النبات الذي يشبه غزل البنات ورائحته نفاذة، كنت أرى كل شيء على الأرض ومازالت أطير بسرعة سليمان حتى وصلنا إلى أرض رمادية كاحلة، كأنها محروقة من قبل، في بداية دخولنا لها شعرت بتخديرٍ بأطرافي وجسدي بدأ يبرد كثيراً، ورأيت البياض بياضاً ليس به أحد، ظل البياض معي حتى...

أفقت وأنا بغرفة رأيت بها امرأة عندما فتحت عيني، نظرت لي وقالت أهلاً بكِ يا حياة.

بعد وقت من الزمن لا أعلمه كنت أرى هذه الغرفة وأذهب للبياض ثانيةً، إلى أن أفقت كاملاً، وكان آدم يقف بجواري وأبي وأمي هكذا.

_ أمي: حياة ابنتي أأنتِ بخير؟!

_ آدم: حمداً لله يا حياتي أنكِ بخير.

_أبي: لماذا فعلتِ هكذا؟ أتريدين فضيحتي!

نظرت بعيد كنت أتمنى الموت حقاً، ولا أرى ذلك الوجه ثانية، بعد يومين من التعافي.. عرفت أنني بعد قفزي في المياه.. شاب قذف نفسه خلفي ولكمني لأني كنت أبعده عني لكي أغرق بالفعل.. ضربني كي يقدر أن ينقذني يا لخيبة الآمال..

رجعت بيتي كان آدم كثير الضحك معي لكي أبتسم كان يريدني أن أتقرب من ربي أكثر كان يحدثني عن عقاب المنتحر، كان يحدثني عن الصلاة والأذكار ويعينني عليها، أوقات يكون جسدي مخدراً من كلامه وكنت أشمئز منه، وأنا أتذكر هيئته المخيفة.. يقول لي حدثيني ما بكِ ما الذي يجعلك تتصرفين هكذا، وأنا أنظر له مستغربة من كلامه.

_ قلت له: لماذا وأنت لا تحبني وتحنو عليّ هكذا.. لماذا كنت تركلني وتضربني وتريد كسري؟!

_ قال: أنا لا أقوى على فعل ما تقولين أنا أحبك حقاً. أنتِ كنتِ تريدين قتل نفسك بخنقك لنفسك وتقولين إني أريد الموت.كنتُ أمسك يدك بقوة، في يوم كنت هائجة مثل هيجان البحر، وتسبيني وأنتِ كلك عرق ونظرات عينك غير مفهومة تركضين لتستعيري السكين لتقتلي نفسك، وأوقات تنطحين الحائط.. في هذا اليوم وثقتك في خزانة الملابس لأني تعبت منك وكانت تمتلكك قوة كبيرة وتريدين قتلي معك.

أمسكتك في مرة وأنتِ تركضين لتقذفي نفسك من شرفة الشقة، وأمسكت بكِ من الخلف على آخر لحظة، وكنتِ تدفعيني للخلف ومن شدة قوتك لتهدئي تركتك من يدي بقوة على الأرض.. طالما أحببتك ولا أريد أذيتك، ولكن ما بك؟ قولي لي؟.. إذا كنتِ تحلمين بأشياء أو معك أحد يراودك عن نفسك قولي لي، وأنا إن شاء الله أساعدك ونتغلب عليه..

بكيت كثيراً وارتميت بين أحضانه.. تذكرت كلام صدلغيم عن الجحيم الذي أعيشه، بعدما اكتفيت من البكاء، تحدثت لآدم ورويت له كل ما حدث وكل الذي يتوعدني به صدلغيم.

ربت على جسدي وقال: لا تخافي سنتغلب عليه حتماً..

الفصل الثالث

جسدٌ بلا روح

أنا الآن جسد بلا روح، حياة التي تعرفونها ليست هنا، هنا شبحها إني أبكي بشدة الآن، لا أشعر بجسدي العاري، العاري تماماً!! ماذا فعل بي..؟؟ جسدي بين كدمات وألم.. ووجع، روحي بين إحباط واكتئاب وحزن، اغتصبني، نعم اغتصبني بعد رفضي طلبه بشدة، انهال عليّ بحماقته إنه فعلاً بلا مشاعر ولا إحساس، كنت أترنح بين جدران الغرفة يركلني ويسقطني على الأرض ليأخذ غرضه مني، وأنا بين الرفض وعدم الاستيعاب.

....

زاد الأمر سوءاً عندما أحضر أبي رجل يدعي أنه يخرج الجنّ ويبطل الأعمال، كان له مطالب كثيرة غير منطقية للأسف، مثل جلب رمل من قلب جبل سانت كاترين، ودم غزال أفريقي، وعظام كلب متوفٍ من ثلاث سنوات، وكثيراً من هذه الأشياء، أبي وآدم حارَ بهما الأمر ودفعا له النقود لجلب هذه الأشياء غير المفهومة، كان مبلغاً كبيراً حقاً.

وفي الجلسة الثانية بعد جلب هذه الأشياء جلس معي وآدم ووالدي... وظل يقرأ أشياء غير مفهومة، وبعد لحظات صمت وكان مغمض العينين.. وبعدها ظل يهمهم وأنا أنظر له كان مضحكاً حقاً، وهو يرفع رأسه عالياً ويهمهم وعيناه تفتح قليلاً ونرى بياضها ويقفلها ثانيةً... ظل هكذا بعض الوقت وبعدها نظر إليّ وقال إنه علم بكل شيء وأنه جني عاشق ولا يريد الاستسلام ولا الابتعاد عني، رد أبي وقال:

_ ولماذا جئنا إليك إذاً؟

_قال: هذا الجني كبير في قومه وله أعين وعنده المقدرة لعمل أي شيء ليحصل على مراده.

بعدها قرأ عليّ بعض الكلمات غير المفهومة، وأنا لا يحدث لي شيء.

ذهبنا إلى البيت بعدها وكان آدم غير مرتاح لما حدث وقال لأبي: سآخذها لرجل غيره.. إنه دجال ولا أريد الدجالين.

في الصباح بعدما ذهب آدم لعمله.. حدث هذا الشيء المقزز.

ظهر لي في الغرفة وقال إنه يريدني.. وأنه ليس لأحد على وجه الأرض القدرة على أن يبعدني عنك.

رفضت.. ظل يتحسس بي ويراودني عن نفسي، ذهبت إلى خزان الملابس لأرتدي شيئاً وأخرج من البيت، ظل يلاحقني وعندما أردت أن أبعده كنت غير قادرة.. كان قوياً جداً، كان صلباً مثل الحديد!!

يا ويلي.... رفضت.. ومازلت أرفض كان يأخذني ويطير في الغرفة وينزل بي على ظهري وأقوم وأقاوم وظل يكرر نفس الشيء.

حتى جاء الوقت الذي سكن جسدي ولم أقدر على الحراك.. كان جسدي مقطعاً إلى أشلاء.

أخذ مني ما أراد.. كان الأمر مفزع.. كنت خائفة ولست حاضرة.. مشلولة وغير متيقنة ما بي..

بعدها جلس ونظر لي وقال:

_ أنا أحبك ولا أحد يقدر على خلاصك مني.. سأحارب كل البشر لأجلك

أنتِ أم أبنائي الآن.

_ ماذا؟؟؟

_ نعم.. أنا اخترت هذا الوقت لهذا الغرض.. وماذا تعرفين أنتِ عن هذا؟؟

أنسيتِ أنني أتجول في جسدك بكل أريحية وأعرف كل شيء عنك..

وأنتِ لن تكوني أماً لغير أبنائي.. أنا أتحكم بذلك.. وابتسم لي واختفى.

_ ماذا أقول لآدم الآن؟ ماذا أقول لأهلي؟ مازلت أبكي بشدة منذ الصباح.

....

بعد أيام.. ذهب بي آدم إلى رجل آخر ولم يكن له طلبات أبداً، كان يريدني أن أكون على طهارة فقط..

ذهبت له وجلست معه وكان آدم بجواري، ظل يقرأ القرآن الكريم، بدأ جسدي يتخدر والتنميل يزداد، جاءني صداع فجأة.. يا ويلي أريد النعاس بشدة، سأغفو الآن يا آدم..

_ رد الشيخ: لا... أفيقي.. ورمى عليّ بعض الماء

أفقت ولكنني غير منتبهة

صدلغيم يحدثني ويقول لي: امشي من هنا الآن.

قمت لأسير.. أخذ آدم يدي لأجلس

_لا لا أريد الذهاب.

ضربني الشيخ على ذراعي بعصا. كان هذا آخر ما كنت واعية له.

أفقت على مياه تنسال على وجهي وآدم ظل يربت على جسدي بحنان.

_ ما حدث يا آدم؟

_ قال: هيا لنذهب.

كنت غير قادرة على السير، جسدي كله ألم، وظهر به علامات ضرب كثيرة، ما هذا يا آدم؟

_ قال لي: هذا من ضرب الشيخ للجنّ الذي يسكنك.

_ ماذا؟ ولكن هل كان يضربني وأنا نائمة!

_ قال: أن الجني تحدث له بلسانك وكان يتكلم معه وأبى أن يخرج من جسدك..

ولكن الشيخ حدد لنا جلسة أخرى لنذهب إليه.. وقال إن الأمر سيأخذ عدة جلسات ليخرج الجنّ منك.

مرت عدة أيام على هذه الجلسة.. كان صدلغيم لا يظهر لي أبداً وكأنه لم يكن بجسدي.

في الجلسة الثانية..

نفس الشيء قرأ القرآن الكريم، وبدأ جسدي يتخدر وأريد النعاس... ولكن.... كنت هذه المرة مستيقظة، أشعر بضرب الشيخ.. كنت أجلس بداخل عقلي كأن لساني ليس لي وعقلي لا يعي ما يقوله لسانه، وكانت أذني تسمع صوتاً غير صوتي.. صوت رخيم أجش!!

كان يأبى أن يخرج من جسدي ويقول له أنه يحبني ويريدني.

أحسست بصدلغيم يرتعد من كلام الشيخ وكنت أتعرق بعرقه كان يمسكني بيديه ويحيطني وكأنه يحتضنني ولا يريد تركي ولكن يداي أنا هي التي تمسكني وليس هو، ولكن بقوته هو.

ظل يعاند الشيخ، والشيخ يضربني كنت أشعر بضرب الشيخ القليل منه فقط.. ولكن صدلغيم كان يصرخ ويرتعد من الضرب وما زال يمسك بي.

انتهت الجلسة كنت قد أفقت كلياً وعقلي رجع ثانيةً.

ظلت حياتي مع آدم هادئة جداً حمداً لله...

لا أرى ولا أسمع صدلغيم.

وفي الجلسة الثالثة... كان نفس الشيء تماماً.. كان صدلغيم يظهر عندما يقرأ الشيخ عليّ، نفس الذي حدث المرة السابقة حدث هذه المرة، وأخذني آدم وذهبنا إلى البيت، ونمت، ولكن أفقت على تلك الأرض..

التي بها أشجار طويلة نحيفة من الساق وارتفاعها عالٍ وثمارها القطن الكبير وكانت كل شجرة لها ألوان غير التي تليها..

وقفت ورأيت صدلغيم عليه أثر الضرب، وضعيف يجلس يتكئ على حجر رمادي، ذهبت إليه وقلت له:

_ يا أنت! لماذا جئت بي إلى هنا؟

_ قال لي وهو لا ينظر إليّ: أنا وأنتِ سنحرر جنياتي. هنّ من سيساعدنَني على هذا البلاء الذي توقعيني فيه.

_ أي بلاء؟ أنت هو البلاء يا صدلغيم.. ابتعد عني وكفى هذا الأمر.. الأمر ازداد سوءاً بسببك.

_ لا.. ستكونين معي..

قام من مكانه ونظر لي وقال: أنا أحبك.. أحبك ولن أبعد عنكِ ألا تفهمين؟.. لن أتركك أبداً.

_ ولكن أنا لا أحبك.

_ ليس لي شأن بهذا... أنا أحبك وكفى...

عُد بي إلى داري، إلى آدم.. أريد الذهاب إليه

_ لا.. هذا دارك الآن. إنني مخطئ من البداية، كان لابد أن آتي بكِ إلى هنا.

_ ماذا؟؟ ماذا تقصد؟! أنا لن أرجع إلى دياري؟ كيف ذلك؟! أنا هنا بروحي وجسدي.. يا ويلي.

_ لا.. لست بجسدك للأسف. جئت بروحك فقط.. وقَلِقٌ جداً بشأن جسدك أنا لست مثل السابق.. أنا ضعيف.. لا أتحمل المجيء هنا بجسدك...

أنتِ روحك هنا وجسدك هناك ولكن بلا روح

وإذا تأخرت سيتوقعوا أنك متوفية وسيدفنوكِ.. وعندما يدفنوكِ ستموتين حتماً وروحك ستذهب. أنا الآن مُشَتّت ولا أعلم ماذا أفعل؟

ولكن لو جنياتي هنا أكيد سيساعدونني وننقل جسدك هنا مع روحك الآن سننطلق ونذهب لنحررهم.

_ توقف.. ما هذا الذي تقول؟ أنا لن أذهب معك إلى أي مكان إلا إذا كنت ستعيدني إلى دياري. اذهب الآن..

_ لا... ستكونين معي بعيداً عن البشر.. هيا بنا..

وأمسك يدي ولكني أردت أن أفلتها وقلت له:

_ لن أذهب معك إلى أي مكان..

ولكنه أمسك يدي بقوة وطار بي...

كان الوقت هو غروب الشمس، وغروب شمس هذه الأرض كان غريباً، كانت الشمس حمراء دائرية وكأنه ليس بغروب، ليس مثل أرضنا أن الشمس تنزل في باطن الأرض شيئاً فشيئاً... لا،

كانت الشمس تحمرّ ولونها يُصبغ بالسواد وهي لا تزال مكانها دائرية.. كانت تتحول لقمر.. ما هذا؟

الليل جاء وهو مازال يطير بي، وصلنا مكاناً مثل الجبل، ودخل بي في كوخ في هذا الجبل، وقال: سنبيت هنا الليلة ولا يريد مني أي صوت.. حتى لا يسمع عني أحد.. حتى يصل إلى المكان المتوجه له، وأرعبني كثيراً عندما قال لي إنهم سيأسرونني إذا أصدرت أي صوت.. وهو لا يقوى على محاربتهم.. وبالتالي سأموت إذا تأخرت على جسدي، نمت قليلاً.. وأفقت وأنا على ظهره وهو يطير بي...

_ قال: خيراً أنك نمتِ.

_ سألته: هل نمتَ أنت كذلك؟

_ قال: إن الجنّ لا ينامون أبداً.

كنت في ذهول دائماً عندما يحكي عن الجن وعاداتهم وأنهم مختلفون عنا تماماً.

وصلنا إلى أرض صحراوية على مد البصر ليس بها شيء، كانت الشمس حارقة وجافة، أنزلني وقال لي أنني سأنتظره هنا.. وأنه سيذهب وحده

_ ماذا؟ أتتركني هنا؟

_ قال: نعم، هنا آمن مكان يتركني به، وأنه لا أحد يمر من هنا بسبب الصحراء والجفاف.

_ سألته: وإذا أردت الماء أو أي شيء ماذا أفعل؟

_ قال لي بسخرية: أنتِ روح يا حياة، لا يلزمك شيء من هذه الأشياء..

وقال: لا تتحركي حتى يأتي بجنياته، اقترحت عليه أن أذهب معه.. فقال أنني لن أتحمل ما سأراه.. وأنه سيظهر بشكله الحقيقي وسيكون مع جن على هيئته

وإني لا أتحمل هذه الأشياء وسأصعق من الوجوه..

جلست في الصحراء حتى هدأت الشمس قليلاً، وأنا جالسة لا أفعل شيئاً، أفكر فقط بآدم وبجسدي.. وعندما يكتشفون أن جسدي بلا روح ماذا سيفعلون به؟!

ولكن الذي استشعرته أن صدلغيم حريص على جسدي أكثر مني.. ولكن هو الذي جاء بي إلى هنا، ماذا أفعل الآن؟

نمت قليلاً، وأفقت على بدء غياب الشمس ولكن أين صدلغيم الآن؟
بدأت الأرض تهتز من تحتي وظهر بها جحرٌ كجحر الأرنب.. كان الليل بدأ بالمجيء، نظرت وخرج من الجحر شيء أرعبني كانت عيونه مثل الضوء صفراء تشع ضوءاً... كان قصيراً وأسود حالك.. لست مميزة بجسده شيء غير عينيه، تقوقعت في نفسي حتى لا يراني، وتمنيت في نفسي ألا يلاحظني...
ولكنه كان يقترب مني ويخرج صوتاً غير مفهومٍ أبداً، مثل نقر على الحديد!!
اقترب حتى أنه يقف أمامي وأنا لا أرى غير السواد والعيون الصفراء المضيئة، ظل يخرج نفس الصوت، وبعدها غيره، وبعدها غيره، وبعدها أصدر صوتَ عواء الذئاب، وبعدها خوار البقر، وبعدها مواء القطط، والأصوات التي تخرج من الشجر، والأصوات التي تصدرها الأجراس، ثم صمت....
وأخذني من جسدي يوقفني، كنت خائفة جداً ولا أتكلم،
أخذ يجرني.. كانت قوته كبيرة!! وبدأ يدخلني في جُحره ولكن جحره صغير جداً، دخل هو وأخذ يشدني بقوة، كانت يدي تؤلمني كثيراً، تكلمت أخيراً وقلت له:
_ لا يمكن دخولي هنا.. أنا كبيرة على هذا الجُحر.. ألا تفهم؟
جُحر!! ونظر لي وقال:
_ أأنتَ إنسان أم تتكلم مثلهم..؟؟
_ قلت: نعم إنسان.. ابتعد عني.

_ قال: لا أنتَ ملكي الآن.

_ أنا لست ملكاً لأحد، أفلت يدي واتركني.

_ لا لن أتركك أنتَ تخصني، من جاء بك إلى هنا؟!

_ لا يخصك اتركني.

_ لن أتركك ولكن ستدخل معي في الجحر.

_ لا يجوز أنا كبيرة عليه.

_ كبيرة! أنتِ أنثى الإنسان.. نعم لديك شعر

أعرف عن أنثى الإنسان أنها لها شعر، نعم إذاً ادخل معي إلى الداخل أيها الأنثى.

_ لا لا...

_ ستفعلها انكمش وستدخل

_ لا..

_ سأريك كيف.

وبدأ يطول ويطول كثيراً كان أطول مني بأكثر من مترين.. وانكمش ثانيةً وقال: هكذا، افعلها.

نظرت له بخوف وقلت:

_ لا، لا أقدر على هذا الأمر.

_قال: أنت صغير، افعلها ستقدر أيها الغبي.

أنت الغبي ولست أنا أنتَ لا تفهم أنني لن أنكمش مثلك ولا أطول أنا مثل ما تراني.

رد علي وقال:

ـ لا تقُل لي أنني غبي أيها الغبي. أنا رأيتك من وقت، وأنت منكمش وعندما أمسكتك أطلقت طولك، انكمش ثانيةً هيا لندخل أنثاي ستفرح بك كثيراً.

ـ أنا كنت جالسة ولست منكمشة ابتعد عني. أنا أحذرك.. إذا عرف الجن الذي أحضرني إلى هنا أنك أخذتني سينتقم منك، واعلم أنه قوي جداً ولا تعرف مدى قوته.

ـ ومن يكون هو هذا الجني الذي أحضرك؟

ترددت كثيراً قبل أن أقول:

ـ إنه صدلغيم بن موران كبير جن الطيار.

أصدر صوتاً عالياً جداً مثل قرع الحديد متصل الصوت، وكأنه كان يضحك وشبه ذلك، لست أعلم!! وبعدها قال:

ـ إنك لا تعلم أنه ملعون على أرضنا بسبب فعلته.

ـ ماذا؟ ماذا فعل؟

إنه أحبَّ إنساناً، وذهب خلفه بعدما اعتقله أبوه وأسر جنياته، أنا حقاً أشفق عليه. أأنت أنثى الإنسان الذي أحبك؟ جاء بك إلى هنا إذاً..

إذا علم أبوه بذلك سيعتقله للأبد، إلا إذا قتل أباه، أظن أنه يفعلها.. لا يفعلها.. يفعلها.. لا يفعلها

ظل يردد هذه الكلمات.. يظهر عليه علامات الغباء.

تركته وهو يتكلم ويفكر وأردت الركض.. وبمسافة كبيرة ابتعدت عنه وهو خلفي حمداً لله أنني نجوت منه..

وقفت أريح نفسي قليلاً، ثم أعاود الركض، ونظرت خلفي لأراه ولكن اختفى.. ماذا؟

بعدها نظرت حولي ووجدته أمامي مباشرة.. ماذا جاء به هذه المسافة بهذه السرعة الكبيرة؟!!

قال لي:

ـ هيا إلى " ليرباح" زوجتي ستفرح بك كثيراً. وهي تفكر جيداً مثلي وسنتفق على الذي سيحدث معك...

الفصل الرابع

بلا عقل

مر وقت طويل وأنا على هذه الأرض التي لا أعرف اسمها، وعرفت أشياء كثيرة وعلمت بأمور لم أفقه بها أبداً، حتى لو كنت في دنياي ما كنت أعرفها، إن الحياة مليئة بكثير من الصعاب والابتلاءات ولكن ابتلائي كان نوعه مختلف ليس مع البشر ولا مع نفسي، ولكن مع الجن وحياتي بهم...

منذ التقيت بمركوش الجني الغبي الذي لا يعبأ لبعض الأمور ولكن تعلمت منه أننا نعيش حياتنا دون حساب، ولا نعبأ لأمورنا لأن الله وحده بيده أنفسنا وأمورنا الحمد لله، هذه الكلمة التي تعلمتها واستمتعت بسماعها من مولين والذي علمني أن أرددها دائماً في السراء والضراء، الحمد لله..

حين التقيت بمركوش الذي ينعتني دائماً بالغباء هههه، وكان يريد أن يذهب بي إلى زوجته ليرباح..

بعدها ظل ينادي عليها؛ لتصميمي أنني لن أدخل الجحر، وكان ليس بيده حل إلا أن ينادي عليها بكل ما أوتي من قوة. والأخيرة خرجت من الجحر شيء نفس هيئته وكانت تصدر نفس صوته كالنقر على الحديد، نظرت لي بعينها الصفراء وظلا يتحدثان بنفس لهجتهما الغريبة..

كان صوت نقرها جميلاً ويشع حناناً وهادئاً غير نقر صوته السريع العالي..

بعدها حدثتني وقالت:

ـ ما اسمك أيها أنثى الإنسان؟

ياااه، أحببت صوتها حقاً كان كله طمأنينة وحنان، قلت لها:

ـ أنا حياة.

ـ أنت هنا بجسدك أم روحك فقط؟

ـ بروحي فقط..

كنت أجيبها ولا أشعر بالرغبة في أي اعتراض على كلامها صوتها به سحر.

ـ قالت: إذاً ستدخل مثلنا بل أسهل منا، هيا أعطني يدك وستدخل.

مسكت يدي ودخلت الجحر، دخلتُ أنا أيضاً كان ممراً مظلماً كثيراً لا أرى فيه غير عينيّ وعينيّ مركوش،

سرت ولكن كثيراً.. ووصلنا إلى غرفة بها إضاءة من مصابيح لم أرَ مثلها من قبل، كانت من الزجاج وبها حشرات حبيسة وهي التي تنير المصباح.

كانت الغرفة بها ممرات أخرى لا أعرف أيهم أسلُك!؟

بعدها نظرت إلى ليرباح صُعقت من هيئتها كثيراً! مثلها مثل مركوش

كدت أن يغشى عليّ من هيأتهما.. بعد النظر لهما

كان لونهما أسود، جسدهما به زغب كثير، نحيفان ووجههما حاد جداً، ليس دائرياً وليس بالشكل المثلث، بين ذلك وذاك أقدامهما كبيرة بها ثلاثة أصابع طوال فقط، وأيديهما كذلك وأيديهما أطول من أرجلهما ليرباح كانت تختلف بزغبها الأكثر وشعرها الطويل جداً، كان شعرها حوالي ثمان شعرات فقط ولكن سُمك الشعرة الواحدة بسمك إصبعي، كانت تلفهم على بعضهم بشكل جميل، بعد أن صُعقت من هيئتهما تكلمت ليرباح وقالت:

ـ اهدأ يا حياة الشكل ليس كل شيء بالحياة، أنتَ بالنسبة لنا قبيحٌ جداً، وجسدك يملؤه السوائل اللذجة الكريهة تسمونه دم، وأنتم لا تعيشون من دونه! مقرف حقاً.

بعد أن سمعت صوتها نظرت لها كأنني وقعت بغرامها! ظلت تصدر الأصوات لمركوش حتى ذهب، نظرت لها وقلت:

ـ لماذا جئتم بي إلى هنا؟ ماذا تريدون مني، أتريدون أكلي أم ماذا؟

أصدرت صوت النقير العالي ولكن بصوتها الحنون وقالت:

ـ لا، نحن لا نأكل البشر، أجساداً كانوا أو أرواحاً.

نحن جئنا بك إلى هنا لنرعاكي، أتريدين النوم؟ هيا انعسي حتى يأتي مركوش بطعام لنا.

مددت نفسي ونمت، ولكن أفقت على أصوات عالية ليرباح ومركوش يتشاجران مع غريب، وقد هدم من الجُحر، كان أطول وشكله مختلف كانت هيئته مرعبة ولونه مختلف، تجمدتُ وأنا جالسة ولا أفهم ماذا يقولون.

ضرب مركوش على رأسه كثيراً حتى وقع مركوش صريعاً.

وظلت ليرباح تحدثه. كان ينظر لها، أوقات بعين حادة وأوقات بعين بها رأفة.

ظل يحارب كان متردداً بقتلها حين يأتي ليضربها تكلمه يتراجع! ظلوا بهذه الحالة طويلاً حتى ضربها في النهاية، ولكن ليس بضربة مميتة، وقعت وأخذ يدي وخرج من الجحر وبدأ بالوثب عالياً.

كان وثبه سريعاً كان الهواء ينال مني من شدة سرعته ولا أقدر أن أفلت منه.

كان يطول ويقصر مثل الزجزاج، بعدها دخل بي إلى كوخ أعلى جبل لا أعرف كيف تسلقه وهو يسابق الرياح كان سريعاً حقاً!

جلست منكمشة بين زوايا الكوخ لا أقدر على الكلام من قسوة الهواء عليّ.

جلست أتنفس شيئاً فشيئاً وأنا أنظر له، أحسست بالخوف الشديد لا أقدر على الكلام، ظل خارج الكوخ وأنا بالداخل جاء النهار أخيراً، كان المكان كله مُضاءً بنور الشمس.

كنت أفكر بصدلغيم وماذا فعل وعندما يرجع للمكان الذي تركني فيه ولم يجدني يا ويلي.

ولم أرجع لدياري تُرى جسدي أين الآن؟ أنا خائفة جداً أكثر من خوفي مع الجني الذي يجلس خارجاً.

....

كان آدم يجلس في المستشفى خارج غرفة يقولون عليها غرفة العناية المركزة، كان يجلس مُسنداً رأسه إلى الحائط والحزن يملأ قلبه على حياة التي تعتبر توفيت إكلينيكياً، كما يقولون الأطباء وأن ليس بها أي إحساس ولا استجابة للشفاء، وأنها تتنفس فقط من خلال الأجهزة، وحددوا موعداً لإزالة الأجهزة إذا لم يحدث استجابة.

....

ما هذا إني تعبت كثيراً مر يومٌ كاملٌ ولم أرَ فيه هذا الجني المخيف صاحب الهيئة البشعة.

تسللت حياة لتسترق النظر وتحاول الهرب منه خرجت إلى خارج الكوخ ولكن...

ليس هناك شيء! ليس هناك شيء أبداً!! الكوخ خارجه السحاب فقط. لا طريق ولا درج ولا وسيلة للنزول أبداً، ما هذا يا ويلي.

وكيف أهرب من هذا الجحيم؟ ظلت تحدق بالفضاء

نظرت إلى ذاك الجني لم تره أبداً.

نظرت إلى الفضاء وقالت بصوت عالٍ جداً: يا عاااالم أحد يسمعني

أحد يساااااعدني، أرجوكم أي أحد...

ظلت تقول هذه الجمل بصوت عالٍ ولا تسمع غير صدى صوتها.

بعدها بوقت رأته وكأنه يشق السحب وهو يهرول سريعاً حتى إنه مر بجانبها وهي لا تزال تنظر إلى الآتي من السحب، حتى انتبهت له عندما وقعت على الأرض من الهواء المصاحب له، قال لها بصوته الأجش:

_ ماذا بكِ هل أنتِ بلهاء؟ لو علم أحد أنك هنا سيقتلك أيتها المعتوهة اجلسي واصمتي فقط.

ابتعدتُ عنه وقد لامست يدي الحائط خلف ظهري من ارتعادي منه كنت لا أقدر أن أتلفظ بكلمة، هو في غاية القبح في النهار.

ظل ينظر لي من بعيد بعينيه الواسعتين كأن حبة عينه ستخرج من وسعها

وتكلم أخيراً:

ـ يا الله يا ولي الصابرين.

كنت قد تفاجأت من جملته! فأنا لم أسمع أبداً كلمة الله على هذه الأرض.

ـ قلت له: ماذا ستفعل بي الآن؟

ـ قال: أنتِ هنا إلى أن يأتي الفرج، اللّهُمَّ عجل فرجك علينا وارزقنا الثبات.

استغربت جداً من كلامه.

ـ بعدها قال: أأنتِ مسلمة؟

ـ قلت: نعم.

ـ قال: إذاً اذكري الله وادعي بأن يفك كربك.

ـ قلت: عن أي كرب تتحدث؟ أنا هنا بغير أرضي ولا أعلم شيئاً.

ـ قال: لهذا ادعي ربك بفك كربك.

ـ تتحدث وكأنك مؤمن بالدعاء لله!؟

ـ نعم أعلم بالدعاء لله واليقين بأن الله يستجيب دعاءنا الذي نقوله بقلب سليم ويقين.

تعجبت كثيراً لحديثه...

ـوأنت تعرف كل هذا من أين؟

ـ قال: ليس المهم من أين أعرف ولكن الأهم أنتِ تعلمين بهذا أم لا؟

ترددت كثيراً قبل إجابته ولكنه أكمل كلامه: أنتِ لو كنتِ مؤمنة حقاً بالله وتتبعين سبيله ما كنتِ هنا الآن.

ـ ومن أنت لتعرف من أنا وماذا أتبع ولماذا جئت بي إلى هنا؟

خرج من الكوخ ولم يجبني..

كنت بين الذهول وعدم استيعاب من هو أو ما به. اختفى للمرة الثانية.

خرجت وقد جاء الظلام وأنا أجلس متكئة على جدار الكوخ، وها قد جاء هذا الجني الغريب، وقال:

ـ ادخلي ولا تخرجي أبداً.

ـ قلت له: إنني أريد النزول أسفل الجبل واتركني وشأني.

ـ قلت لكِ ادخلي ولا تتكلمي أبداً أفهمتي؟

ارتعدتُ كثيراً من صوته ودخلت خشية أي انفعال يحدث منه.

بعدها دخل وقال لي:

ـ اهدئي لا تخافي مني أنا لن أؤذيكِ.

ـ إذاً أرجعني إلى الصحراء، المكان الذي جلبتني منه.

ـ قال: لا، إنه خطر كثيراً عليكِ.

ـ ولماذا أنت يهمك أمري؟

تركني وذهب قبل أن يجيبني...

بعد يوم وقد مللت كثيراً ولا أقدر على الحركة، كنت نائمة طول الوقت أحسست بأشياء مرعبة وأنا وحدي، كانت مخاوفي تسيطر على عقلي كثيراً، جاء أخيراً هذا الجني الغامض.

ـ ماذا بكِ؟

ـ ما بي شيء، قد مللت كثيراً أريد العودة إلى دياري.

ـ أممم ليتني أقدر، ولكن ادعي ليأتي الفرج قريباً.

ـ كلما تراني تقول لي هذا الشيء؟ وأين الفرج وأنا هنا وأنت لا تعرف عني شيئاً، ارجع بي مكان ما جئت بي، هناك والفرج سيأتي حتماً.

ـ كنت مخطئاً جداً عندما كنت أقول البشر أذكياء، ولكن فيكم الغبي والجاهل بالقدرة الإلهية.

ـ ماذا تعرف أنت عن القدرة الإلهية؟

ـ أعرف كثيراً، أنا أحضر دروس علم من شيوخ كثيرة، وفي أنحاء أرضكم جميعاً، أنا مسلم وأؤمن بالله الواحد القهار، ولا أشرك به أحداً أو شيئاً.

ـ جيد أنك مسلم إذاً عندك ضميرٌ واعٍ، أرجعني إلى دياري إذاً.

ـ لا أقدر للأسف وإلا كنت رجعت منذ البداية.

ـ أأنت جني؟

ـ نعم.

ـ إذاً لديك القدرة لأرجع.

ـ لا، ليس لدي القدرة، أنا لا أتبع السحر ولا كلام الكفر، الحمد لله.

ـ لا أفهمك!

ـ ستفهمين، الجن الذي له قدرة على جلبك إلى هنا هم يتبعون كلام كفر وسحر لينقلوكِ، وأنا ليس لدي القدرة ولا أخالف كلام الله، الحمد لله.

ـ من أنت؟

ـ أنا مولين، جني مسلم من قرن وربع، الحمد لله. أحافظ على إسلامي، أعيش وأتنفس قرآناً وذكراً، الحمد لله.

كنت مرة أحضر درسَ علمٍ لشيخ يقول: إن الإنسان هو الوحيد الذي لديه عقل، وهذا الفرق بينه وبين كل المخلوقات.

ـ وأنتم ليس لديكم عقل، وأما بعضكم يوسوس لنا ويؤذينا.

ـ الجن لديهم عقل ولكن محدود جداً. نوسوس لأن ذلك هو منهج الجن لبني آدم، إنما نحن لا نؤذي بشراً، أنتم الذين تؤذون أنفسكم بالبعد عن الله وتكون نفوسكم ضعيفة وأسيرة للشهوات التي يزينها لكم الجنّ والشياطين، وتكون الضحية تلك الروح البريئة، الأمانة داخل أجسادكم.

ـ وما الفرق بين الروح والنفس؟ هما شيء واحد.

ـ لا، هما ليس بشيء واحد، إن الرّوح شيء لطيف جداً وجميل، أجسادكم دون الروح ليس بها جاذبية ولا حلاوة، إذا مات أحدكم الروح تنتقل إلى مكان لا يعلمه إلا الله، إنما الجسد يفنى بعد خروج الشيء اللطيف من الجسم، تكونون شيئاً ينفر منه الناس، حتى أجسادكم تتغير؛ لأن الجمال ذهب بعيداً.

أما النفس؛ هي الشيء الذي يربط بين الجسد والروح، هي التي تتحكم في الاثنين، وهذه هي الذي يكون الوساوس إليها؛ لأنها المتحكمة بين الرّوح والجسد.

ـ وبما أن ليس لديك عقل مثلنا، من أين تعرف كل هذه الأشياء؟

ـ قلت لكِ أنني مسلم وأحضر دروساً كثيرة الحمد لله. وأنا لا أؤذي أي بشري أبداً، ولكني أحسدكم في بعض الأوقات؛ لأنكم أعلى مِنا منزلة عند الله.

أحسست بالوهن فجأة وبإعياءٍ شديدٍ. نظر لي وقال:

ـ ماذا بكِ؟

ـ قلت: لا أعلم، إنني مريضة.

ـ قال: مريضة! كيف أنتِ روح فقط، انتظريني سوف أذهب لأرى جسدك وأعود سريعاً.

اختفى، كنت في غاية الوهن والضعف ولا أقدر على الكلام، يا رب فك كربي وساعدني يا رب هون عليّ شدتي وأبعد عني الوهن والسوء.

الفصل الخامس

تحت الأرض

الآن أنا انتهيت الآن أنا تحت الأرض.

خائفة حقاً، ماذا أفعل؟ ماذا سيحدث بي وأنا الآن تحت التراب؟ أحسست بشعور اليأس بشعور الفقدان، ولكن فقدان روحي وجسدي ودنياي وأهلي وكل شيء.

عندما أخبرني مولين أن أهلي قاموا بدفني بعدما الأطباء فقدوا الأمل بي ورفعوا الأجهزة وقاموا بتغسيلي ودفني أمس.

الآن بعد أن أصبح جسدي لا يصل له الغذاء سأتلاشى حتى من هنا، سأذهب، لا أعلم إلى أين؟ فك كربي يا رب لا ملجأ لي إلا إليك.

بعدها مولين حزن كثيراً لا يعلم ماذا يفعل، وأنا أنظر إليه ولا أقدر على الحركة، كنت أنظر له بوهن كلما يمر الوقت أحس بالوهن أكثر.

تركني ثانياً وجاء بعد وقت لا أعرف ما هو ..

ـ قال لي: أن صدلغيم مسجون إلى الأبد، وقال لي أن أرجعك وأنا لا أقدر على ذلك، ماذا أفعل؟

ـ ماذا! أنت تعرف صدلغيم؟

ـ نعم أعرفه إنه قريب لي من بعيد، وعندما علمت بشأنك منه قلت له أن يعود بكِ إلى ديارك قبل أن يحرر جنياته ولكنه رفض، كان عنده أمل أن يرجعك بعد أن يحارب من أجل جنياته الميؤس منهن، وها قد اعتقله أبوه ولكن للأبد في سجن لا يعرف مكان الخروج منه مثل المتاهة، الذي يدخله لا يخرج منه أبداً.

نظرت له بيأس وقلت:

ـ تقول إنك لا تملك أن تذهب بي إلى دياري ولكن هل يوجد أحد يرجعني؟ ابحث عن قرين أبي هو جاء بي إلى هنا.

ـ قرين والدك! ولكن قدرة القرين ضعيفة!! لا أعرف هل يقدر على إرجاعك أم لا، وأكمل: كنت أفكر في ليرباح أن لا أقتلها..

ـ ولكن تشعرني بشيء غير مفهوم صوتها به سحر أنجذب لأمرها رغماً عني.

ـ لا، لا.

ـ حياة: ماذا صوتها به سحر كيف؟!

ـ هل تعلمين أنهما في الأساس قاما بخطفكِ ليمارسا عليكِ أسحارهما، وكنتِ ستعودين إلى عالمك ولكن ستكونين طوعاً لهما هناك، وكنتِ ستسجنين بأمر سحر ليرباح، عندما كانت تتكلم كنتِ تنصاعين لأوامرها صحيح؟

ـ نعم، كنت أحب صوتها.

ـ هذا سحر وليس حباً، كانا يفعلان بكِ الكثير، أنتِ غنيمة لهما.

ولكن لن تجدي نفعاً إذا أتيت بليرباح، ستستغلك وتسيطر عليكِ وعليّ، سأحاول أن أبحث عن قرين والدكِ، سأذهب وآتي قريباً، تمسكي بروحك جيداً.

قالها وذهب في لمح البصر كما يفعل دائماً، لا أعرف كيف أتمسك بروحي لا أعرف الطريقة! توقف عقلي عن التفكير لأنه لا يجدي نفعاً.

كنت أنظر إلى شمس هذه الأرض فقط، هناك ساعات فقط أرى فيها الشمس ولن أراها ثانيةً، الحياة تُسرق مني ولا أعرف كيفية استردادها، كنت شاردة فقط في ملكوت الله، وما فعلت في حياتي من أعمال صالحة وأعمال سيئة للأسف السيئ كثير، كنت أكذب وأتلون ولكن بسبب خوفي من البشر كنت مخطئة بشأن خوفي وتوجسي منهم، كنت دائماً أعصيك بترك فروضك ولا أملك المال لأتصدق، يا رب ما كان لي أحد يوجهني ويقول لي افعلي كذا لإرضاء ربك، ولا تفعلي كذا لأنه منكر ولا بد الابتعاد عنه. لا لا هذا الوقت لا ألوم أحداً أنا الوحيدة الملامة يا الله سامحني يا رب السماوات والأرض، يا رب الكون وخالق الإنس والجن سامحني واغفر لي قبل أن ألقاك، إني أشهد أنك ربي وأنك مولاي وسندي وسيدي، وإني أشهد أن عبدك محمد رسولي وحبيبي وشفيعي، وإني مسلمة بديني ودنياي ونفسي وقلبي.

....

ـ حياة أفيقي... أفيقي يابْنتي، ماذا فعل بها هذا الجني اللعين؟

ـ حياة: ماذا، قرين أبي! أرجعني أرجوكَ إلى جسدي.

ـ قال: سأحاول بكل جهدي.

حملني مولين ونزل بي إلى أسفل الجبل، وكان يحمل أيضاً سليمان لأن سليمان مقدرته في التنقل قليلة، وكان مولين يريد أن يستغل الوقت لأرجع.

بعدها سارَ بي وسليمان إلى طريق الرجوع لدياري.

كان يقفز بقوة كما عهدته من قبل، ولكن تعثر ووقع بي أنا وسليمان، وقعت منه وكنت لا أقدر على الوقوف ولا الرؤية لا أرى شيئاً، ولكن كنت أسمع الصوت المريح الذي وقعت في غرامه من قبل، صوت ليرباح! نعم صوتها، كانت تتوعد لمولين وتقول له أنها ستقتله كما قتل زوجها، بعدها أفقت قليلاً وكنت أنظر إليهم، وسليمان يقف بجانبي ينظر إلى ليرباح ولا يفعل شيئاً، وكان مولين راكعاً أمامها ينظر إليها فقط، وكأنه موافق على أن تقتله.

كان ضعيفاً جداً أمامها، وهي تقول أشياء لا أعلمها وتتكلم بلهجة لا أفهمها ولكن مستمتعة وأنا أستمع لها، كانت تنظر في عين مولين وهي تتكلم ومولين لا حول له ولا قوة.

بعدها تذكرت كلامه عليها أنها تسحر من يستمع إليها، وقفت وذهبت باتجاهها وقلت لها:

ـ اتركيه ولا تمسي منه طرفاً.

نظرت لي وقالت:

ـ حياة كنت أبحث عنكِ وهو الذي خطفك مني.

ـ قلت لها: اتركيه وشأنه هو يحميني ابتعدي عنه.

ـ قالت: لا، حياة أنتِ لا تفهمين شيئاً هو يجب أن يموت.

الوقت الذي أسمع فيه صوتها أحس بالراحة، ولكن عقلي يقول لي لا إنها ساحرة ابتعدي عنها، استعذت بالله منها وأكملت، ابتعدي أنتِ الآن، وقلت بعض الذكر، قلت في نفسي ربما يأتي بالنفع.

وجدتها تتراجع للخلف بعد سماع الذكر وتقول لي:

ـ لا يا حياة إني أحبك لا تنطقي بهذا الكلام.

كنت أتوقف وأنا أسمعها وبعدها أكمل، وتتكلم وأتوقف وبعدها أكمل حتى ظلت تتكلم وتقول أشياء غير مفهومة كثيراً دون توقف، وأنا توقفت لأسمعها، لست قادرة على النطق، قد تفوقت عليّ وأنا لا أقدر على الكلام.

بعدها سمعت... صوت مولين من خلفي يردد الذكر الذي كنت أقوله، كانت ليرباح قد انتبهت لصوته كانت تعلو بصوتها أكثر فأكثر، انتبهت أنا لصوت مولين وقلت معه الذكر، وكنت أرفع صوتي معه، وجدت ليرباح تتعرق وترجع للخلف، تبتعد ولا تقدر على التفوه بأي كلام ثانيةً، ولكن مولين ركض وراءها وضربها على رأسها وأوقعها صريعة.

ـ سليمان: لماذا قتلتها؟ إنها جميلة جداً.

ـ مولين: لا، إنها ساحرة تسحر ما يستمع لها.

حملني مولين ومضى بي ثانيةً ومعه سليمان، عدنا من نفس الطريق الذي مر به صدلغيم وسليمان من قبل،

ـ قلت: ما سر هذا الطريق المحترق؟

ـ قال: إنه الطريق المؤدي إلى البوابة إلى عالمكم، كله سحر وأذى.

ـ قلت: احكِ لي عنه.

ـ بدأ يحكي لي ولكن رأيت البياض ثانيةً، كنت في البياض حتى أفقت على ذلك الكابوس.

كنت بين الظلام، الظلام الدامس لا صوت كنت أتنفس بصعوبة لا يوجد هواء، جلست لأرى أي شيء، لكني لا أرى أو أسمع أي شيء.

تكلمت لأجد سليمان أو مولين، مولين استجاب لي وكلمني وقال أني في المقابر الآن، كان سيغشى عليّ من هول الصدمة.

ـ قال لي: تماسكي لا تخافي الذي بين يدي الله لا يخاف.

ـ ولكن أنا الآن تحت الأرض يا مولين ماذا أفعل، أين سليمان؟

ـ للأسف سليمان يخاف من القبور هو قرين يحب ما يحبه البشر ويكره ما يكرهونه وما يخشونه أيضاً، هو خارج القبر.

ـ مولين: أنا أفكر الآن ماذا أفعل، ولكن ليس عندي أي شيء أفعله تجاهك.. سامحيني يا حياة.

ـ إذاً أنا سأموت الآن؟!

ـ نعم، عندما يوهن جسدك أكثر أو الهواء ينقطع ستموتين، اذكري الله كثيراً وسلمي أمرك لله.

كنت يائسة جداً، فكرت بحياتي كلها ونهاية أيامي، والوقت الذي عشته مع آدم، كان أسعد الأوقات بالنسبة لي، وفجأة خطرت ببالي فكرة..

ـ مولين أنت تقدر أن تتكلم دون أن يراك أحد؟

ـ قال: أوسوس للبشر قصدك؟

ـ قلت: نعم

ـ قال: نعم، أقدر.

ـ إذاً اذهب إلى آدم وقل له أني حية، وأني أتنفس ولست بمتوفية.

ـ نعم سأفعل وأقول لسليمان أيضاً، انتظري وإن شاء الله يجدي نفعاً.

جلست بزاوية تحسستها بيديّ، كنت خائفة من الموت كثيراً وكان الأمل في قلبي أن آدم سيأتي وينقذني.

بعد وقت اختنقت وأصبحت لا أقدر على التنفس، ولا أرى ضوءاً ولا أي شيء، وقفت ولكن لاكمني السقف، كان السقف منخفضاً، سرت في عدة اتجاهات كنت أحياناً أمشي على عظام وأسمع صوتها تتكسر، كان الخوف يقتلني وأنا أعلم أني بداخل قبر.

كنت أحاول أن أتناسى أني بداخل قبر، كان الأمل يملأ قلبي أنني سأخرج، بعدها رأيت نوراً صغير جداً من الحائط، كنت قد استنفدت آخر أنفاس القبر، اقتربت من الضوء الصغير وأخذت أبتلع الضوء لاستنشق الهواء، كنت استنشقه بقوة، تذكرت حينها أن الهواء كان يحيطني ولا أعبأ به إنها نعمة نتجاهلها ولا نتذكرها أبداً، أشكرك ربي على نعمة الهواء هذه.

بعد أن أشبعت رئتيّ بالهواء، تذكرت أن أنادي على أي آتٍ...
ناديتُ بأعلى صوتي وظللت ساعات أنادي حتى فرغت وتعبت كثيراً، ولكن كان الأمل يملؤني.
جاء الليل ولا أفرغ من النداء لأي بشريّ، كنت لا أسمع إلا أصوات الكلاب الكثيرة.
_ اهدئي.
سمعت هذا الصوت من خلفي! قد اقشعر بدني ولا أقدر على التفوه بأي كلمة.
_ اهدئي، اهدئي يا حياة. قالها ثانيةً.. أنا مولين لا تخافي.
_ آه، مولين كدت أن أموت حقاً، ماذا فعلت؟
_أنا استمررت في القول لزوجك أنك موجودة هنا في القبر حية، ولكنه لا يعبأ بي، وكان غير مهتم. سليمان هكذا مثلي، لا نتيجة من هذا الكلام.
مر الوقت كان مولين معي، قلت له:
_ لا تتركني هنا وحدي.
ظل معي كان يمازحني ولكن أنا بالوقت غير المناسب للمزاح، بعدها قال ذكراً وقال لي أن أقول مثله. حتى تعبت كثيراً ونعست.

....

أفقت على شعاع النور على وجهي، أحسست أنه بداية يوم جديد، شعرت أيضاً بالجوع والعطش، شعرت بالخوف من المجهول، ولكن كنت سريعاً ما أتذكر ربي وكنت أشعر به حولي، وتذكرت آية قالها لي مولين كانت تخلد خاطري ويقولها لساني ويطمئن بها قلبي؛ {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}

نعم الله معي الله يحط بي برحمته.

كان هذا يهون عليّ كثيراً، إنني أستشعر الله معي.

بعدها سمعت صوتَ أقدامٍ تقترب، يا الله!

قلت وبأعلى صوت لدي:

_ يااا أنت.... أأحد هنا!؟ أأحد يسمعني؟!

_ الصوت اقترب وقال: حياة، هل أنتِ حياة!؟

_ آدم؟ نعم، أنا حياة.

....

عندما فتحوا القبر، الشمس أصابت عينيّ بشدة لا أقدر على النظر، كنت أحتاج حضن آدم. أحسست بالغثيان سريعاً، أفقت وأنا في المستشفى. كنت لا أقوى على الكلام، صوتي كان مبحوحاً، أحسست بحنان آدم ودفء يديه وهو يمسك بيدي.

_ قال لي: اشتقت لكِ.

ياااه كنت أحتاجها بشدة وأحتاج النظر إلى عينيه، عندما شُفيت ورجعت إلى المنزل قال لي: سأخبرك خبراً ولكنه غير سعيد.

ـ قلت: لا، أنا أسعد مخلوقة الآن، كن مرتاحاً لن أحزن بعد الآن.

ـ قال: أنتِ كنتِ حاملاً، ولكن إرادة الله فوق كل شيء، وحدث لكِ إجهاض، وأكمل: يجب أن نحمد الله ولا تحزني و....

قطعت كلامه لأني كنت سعيدة، سعيدة بشدة لأني تخلصت من هذا البلاء.

ـ قلت: يا حبيبي أنا لست حزينة؛ أنا شاكرة لله وحده على نعمه عليّ، الحمد لله دائماً وأبداً، الحمد لله في السراء والضراء، الحمد لله أنه لدي نفس أتنفسه لأقدر على ذكر الله.

الفصل السادس

حياة جديدة

في منتصف الليل وكانت الأمطار غزيرة وصوت الرعد شديد والسماء تشتعل نوراً من برقها...

ارتعد نور كثيراً وتشبث بأمه، بينما هي تمسح على شعره بحنان وتدندن بأشجى الألحان له لتحجب عنه صوت البرق.

ظلت معه حتى نام وكان المطر سكن كثيراً، بعدها أحست بحرارة شديدة تقترب منها، واقشعر بدنها كثيراً تذكرت هذا الشعور القديم، ولكن تجاهلته واستعاذت من الشيطان وقرأت آية الكرسي وهدأت ونامت.

بعد وقت لا تعلمه اهتزت بشدة وجسدها مشدود، وليس لها مقدرة على تحريكه، فتحت عينيها ونظرت إلى السقف لم ترَ شيئاً، كانت بالكاد تحرك جسدها، ولكنها... سمعت همسه في أذنها! (أين أولادي؟)

....

ها أنا بعد عدة أعوام، وأنا أعيش بين أحضان آدم وأتذوق حبه ألواناً، وأعيش أحلى أيامي برومانسيته المعهودة، حمداً لله أنه عوضني به، أنجبت "نور" هو قرة عيني وحضنه سكني، أعشق ابتسامته وهدوءه كثيراً فهو ليس كالأطفال الأشقياء هو هادئ كالنسيم.

كل يوم أشكر ربي على النِعَم التي تحيطني، وأني شُفيتُ من هذا الشقي الملعون "صدلغيم"، ولكن مؤخراً في بعض الأوقات أشعر بأنفاسه حولي ويقشعر بدني أحياناً!

ولكن هذه الليلة كانت في غاية الصعوبة عليّ، وأنا قد محوته من مخيلتي ومن ذاكرتي ولكنه جاء! ولكن جاء بطلب غريب جداً.

فهو عندما قال لي أين أولادي ونظرت له وكان على هيئته الحقيقية يتصبب عرقاً وشديد التنفس كأنه كان يجري في سباق. يا ويلي ماذا جاء به؟ وأين كان؟ وماذا يفعل بي ثانية؟ كل هذه الأسئلة جاءت في خاطري، يا ويلي ماذا أجيب؟ ولكني تماسكت ونظرت له وكأني لا آبه به وبما يقول، وقلت:

ـ من أنت أيها المسخ المرتعد؟

ـ نظر لي بذهول وقال: أنسيتيني يا حبَّ العمر؟

ـ ماذا!؟ أنا لا أعرفك أيها المسخ.

ـ "صدلغيم" يا حياتي، أنا حبيبك السابق، وطيرك الذي كان يحملك ويسابق بكِ السحاب، ولكني لست هنا لكي أجيب على أسئلتك السخيفة، أين أولادي أيتها الجميلة؟

ـ أجبت عليه وأنا لا أعرف على من يتكلم وقلت: ولماذا يحضرون أولادك هنا اذهب ابحث عنهم بعيداً.

ـ نظر لي وبكل غضب قال: أين أولادي الذين كانوا بأحشائك؟

ـ أجبته ببلاهة وقلت: إذا كنت تقصد الحمل الشؤم ذاك فإني أجهضته الحمد لله ولا يوجد أولاد.

ـ بلهاء حقاً، أنتِ وضعتِ يا غبية ولا إجهاض وكانوا ذكراً وأنثى، وهما أولادي.. من الجنّ مثلي.

ـ أنا لست بلهاء، أنت كاذب ليس عندي لك أولاد، وإذا كان يوجد كنت قتلتهم بيدي لأنهم من الجنّ أمثالك.

بعدها وجدته شديد الغضب، وعيناه قد اكتظت واحمرت، شعرت كأن ناراً تخرج منهما. يا ويلي ماذا سيفعل!؟

ولكنه اختفى! نعم، اختفى في لحظة لا أراه ولا أشعر بأنفاسه ولا شيء، حمدت الله، وسكنت أفكر في كل ما مر بي وكأنه البارحة لا كأنه مر عليه خمس سنوات!

في الصباح وكنت أفطر مع آدم ونور، نظرت لهما وهما يبتسمان لبعضهما وهما كالعادة يعبثان معي بالنكات السخيفة وكلامهما عن وزني الزائد دائماً، كنت أنوي أن أقول لآدم ولكن لآخر لحظة أمسكت لساني عن الكلام، فضلت ألا أرهقه بهذا الكلام ثانية.

بعدها ذهب كلٌّ منهما إلى دوامه، وأنا بالبيت حتى أنظفه ولكن شعرت به ثانية وبحرارة في كل أرجاء المكان والنفس المختنق ولكني كنت قوية وأنا ليس كعهدي السابق، نظرت خلفي وقلت:

ـ المسخ ثانية! وقلت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أغثني يا الله واحرق كل ما يؤذيني من خلقك، ارتعد قليلاً وعرقه كان يسيل وقال:

ـ أنتِ لستِ كالسابق، لمااااذا؟

ـ قلت له: لا ترفع صوتك أيها النجس، أنا أقوى منك ويحيطني ملائكة ولا تقدر على أذيتي أيها الملعون، ابحث عما تريد بعيداً عن هنا.

ـ قال: وما أدراكِ بالملائكة؟ أنتِ لا تريهم.

ـ بلى لا أراهم ولكن أنت تراهم جيداً، ولا تقدر على الاقتراب أكثر وإلا حُرِقت.

بعدها ابتسمت ابتسامة انتصار، وهو قد ذهب من أمامي، ظللت أقرأ ما تيسر من سورة البقرة؛ فأنا قد حفظت أجزاءً كثيرةً من القرآن الكريم وعلى دراية بالرقية الشرعية، وكلمات أُذهِبُ بها أي جنّ، فأنا لست كسابق عهدي، أنا حياة جديدة.

الفصل السابع

اختفاء نور

كنتُ قوية جداً، وأقرأ الكثير من الأذكار ولا يهمني من أرى ولا من أسمع وكنت أنوي إذا جاء ثانية لسوف أحرقه لأرتاح من أنفاسه الساخنة..

ولكن حدث شيء غريب ولا أعرف ما تفسيره.. هو أن نور اختفى!!

فعلًا اختفى، لا نعلم أين هو كنت نائمة قليلاً بعد ما جاء من روضته وكتب واجبه، ولكن كان عصبيّ جداً غير عادته، انفعلت عليه قليلاً وتركته يجلس في الغرفة يهدأ.

صحوت بعد نعاس بسيط، وذهبت أتفقده ولكن لم أجده أبداً في أنحاء المنزل! تركت المنزل لأبحث عنه ولكن بلا جدوى، حدثت آدم ليأتي ونبحث عنه سوياً، ولكن بلا جدوى أيضاً.

كنت مثل المجنونة أبحث في كل مكان وفي كل شيء، حتى أكياس القمامة والأدراج، بين المقاعد وتحتها، في الثلاجة وفي الفرن في كل مكان كنت أبحث مثل البلهاء، لم أجده أبداً.

كنت حزينة بشدة وقلِقة للغاية لا أعلم أين هو، أهو جائع أم ظمآن، يشعر بالبرد أم يريد النعاس؟

كان أسبوعَ حزنٍ وغمٍ ونكدٍ، كنت أناشد الله دائماً لأعثر عليه كنت كالمغشي عليها أحياناً، كنت لا أصدق أنه ليس في غرفته، كنت أدخل باستمرار لعلّي أراه في المكان الذي تركته فيه، كانت الدموع لا تجف.

إلى أن جاءني ذلك المخلوق البشع وقال أنّ نور بأمان معه. كنت في البداية لا أصدقه وقلت له أنه يكذب، وبعدها اختفى...

يا ويلي.. أين أنت أيها البشع؟ أين تركتني وغربت أيها المسخ اللئيم، اظهر وقل لي أين قرة قلبي؟؟.

ولكن ذهب ولم يعد. تركني بعقل مشوش وقلب فارغ، أين ابني وكيف ذهب؟ ولكني أدركت سريعاً أنه يقدر على فعل ذلك.

ظل عقلي مليئاً بالأفكار الخبيثة وكثيراً بين الدموع وآلام القلب، تركني بين حيرتي، كنت قد اتخذت قراراً، أن أقول لآدم وهو مثلي مشوش ولا يعرف أين نور.

ولكن في الصباح جاءني اللئيم ثانية وقال: عليَّ أن أبحث معه عن أولاده أولاً، وبعدها يرد إليَّ نور.

رفضت بشدة خاصةً أنني لا أعرف أين أبحث عنهم؟! بعدها وقف صامتاً كأنه يخيرني!

ـ قلت: أين أبحث عنهم وأنا لا أعرفهم؟

ـ قال: أنتِ دليلي هما سيشمان رائحتكِ ويأتون من حيث هما.

ـ قلت: ولكن أنا هنا لماذا لم يحضروا؟

ـ ضحك بخبث وقال: نحن نبحث عنهما في أرضنا وليس هنا!

ـ يا ويلي، ماذا؟! أنا لن أذهب إلى هذا المكان الملعون ثانيةً.

ـ قال: إذاً سأستبدل أولادي بنور عينك وأربيه كما أشاء، ولن تريه ثانيةً.

بكيت بشدة وكنت بين الحيرة والرفض والحنين إلى حضن ولدي.

أدرتُ وجهي عنه وبكيت حتى شهقت واستجمعت قواي وقلت له:

ـ اِحضرْ في منتصف الليل.

ـ قال بسعادة: لتأتي معي؟

ـ قلت: لا ولكن سآخذ رأي زوجي أولاً، وهو من يقرر.

ـ قال: ماذا؟!

ونظر لي بقوة وغيظ واختفى...

تركني أفكر في الأمر المرعب، وكنت قد حمدت ربي على ترك هذا المكان البشع الكئيب المظلم المليء بالأنفاس السامة والوجوه المرعبة، وهنِئت بحياتي مع زوجي وحياتي، بعد كابوس القبر الذي عانيت منه شهوراً، يا ربِ ماذا أفعل الآن؟ ماذا يحدث إذا ذهبت مع ذلك البشع؟

حضر آدم أخيراً بعد وقت طويل جداً.. جاء مثل كل يوم يقول لي أنه لا يجد نور قلبي.. وقد كنت اعتدت على هذه الكلمة.

قلت له على كل شيء وعن حيرتي في أمر الذهاب إلى أرض الجن.

كاد لا يصدق ولكنه قال:

ـ سأذهب معك.

ـ قلت: لا أعرف.

ـ قال: معك أو لا ذهاب.

بعدها وقف وقال: هذا المشؤوم لا بد أن أحدثه

وظل في انتظاره ولكن صدلغيم تأخر، بعدها أيقنت أنه لن يحضر في وجود آدم، دخلت مطبخي وانتظرته، ظهر سريعاً وقال:

ـ المجنون زوجك لن يحضر معنا، نحن فقط.

ـ قلت: هو قال أن..

قاطعني وقال أعرف كل شيء وكنت معكما في الحديث، ولن يذهب معنا.

نظر إليَّ بقوة وقال:

ـ ها المجنون حضر.

جاء آدم على سماع صوتي وقال:

ـ تكلمين من؟

ـ قلت: إنه صدلغيم هنا!

ـ قال: أين لا أراه؟

ـ رد صدلغيم وهو يضحك بثقة: لن يراني ولن يسمعني وإني أكره وجوده قولي له يذهب فوراً.

وصلّت له رسالة صدلغيم، ولكنه رفض وقال:

ـ لا لن أذهب حتى يجاوبني على أسئلتي.

ـ رد صدلغيم: لا إجابات،

إذا كنتِ تريدين ولدك ستحضرين معي غداً، وسأقول لكِ كيف تذهبين، قولي هذا الكلام لذاك القلب الرقيق. ـكان يشير إلى آدم وهو يقول ذاك القلب الرقيق كأنه يريد أن يثير غضبيـ وذهب!

الفصل الثامن

القبر ثانيةً

آدم ظل يقول لي: لا تذهبي، لن تذهبي، سأحرق ذاك الملعون، غدًا سأحضر شيخاً وسأحرقه وأسترجع ولدي، لن يهنأ بعد ذلك.

ظل يجوب الغرف ذهاباً وإياباً لا يرتاح أبداً كان الفكر يقتله، وأنا مثله وكنت ولأول مرة خائفة هكذا من صدلغيم، وأن يسمع كلام آدم بأنه يتوعد أن يحرقه، بل كنت على يقين أنه يسمعه.

ظللت إلى أن ظهر خيط الشمس الأبيض، وبعد صلاة الفجر نعست قليلاً وبعدها أفقت.....، وقد.... قد كنت داخل قبر مظلم!!! الخوف جرى في جسدي ثانية وكنت أسمع نداء نور لي وهو يبكي، كنت لا أعلم أين مصدر الصوت وأين اتجاهه.

وقفت لأسير في ذاك المكان كنت لا أستطيع مد جسدي كله، وفي سيري كسرت عظاماً! كان صوتها مثل طقطقة تحدث من تحت الأرض أو جبال تضرب بعضها البعض. الخوف ظل يشع من جسدي، ولكن كنت أبحث عن نور، وكنت أسمع صوته وهو يبكي بصوتٍ عالٍ، ويريدني وظل الصوت يرتفع وأنا أسير على العظام حتى شهقت بقوة، وأفقت من النوم.

بكيت كثيراً، وآدم يربت على كتفي وهو حزين مثلي، قلت له أنني سأذهب، ابني في خطر ابني يبكي وينادي علي، أريد ابني يا آدام، وبكيت في حضنه كثيراً.

في الصباح قد كنت على عزم من موقفي أنني سأذهب مع ذاك الوقح لجلب ولدي، وأخبرت آدم ولكن رفض، كنت لا أبالي برفضه.

ظل آدم معي طول اليوم لا يتركني، دخلت لأنظف بعض الأواني في المطبخ ولكن آدم جاء خلفي وجلس على مقعد خلفي.

رأيت مكتوب على الماء: (اذهبي إلى الحمام لنذهب)

ـ حمام!! نطقتها في ذهول

ـ قال آدم: أتريدين الحمام؟

ـ قلت بارتباك ولساني يرتعش: نعم.. لا لا.

ووقفت لحظة!....

نظرت للماء وكتب عليها ثانية: (اذهبي الآن إذا كنتِ تريدين ولدك وبدون دعاء الدخول، وادخلي بقدمك اليمنى)

وقفت أفكر وأنظر للماء بعد محو الكتابة منها، وكنت مشتتة الفكر، وأخذت نفساً عميقاً جداً وذهبت للحمام، نظرت لآدم بعينين دامعتين.

ـنظر لي وقال: ماذا؟

ـ قلت: أنا أحبك، ودخلت الحمام مثل ما قال لي.

وجدت على المرآة كتابة مكتوبة باللغة العربية، ولكن حروفها لا تفهم وقيل لي في أذني: اقرئيها هيا.

نظرت حولي ولم أجد شيئاً، ونظرت للمرآة وقلت الكلمة ولم يحدث شيء!

قال في أذني: قوليها في العلن انطقيها من فيكِ،

خفت كثيراً وكنت مترددة جداً، جاءت رؤية أمام نظري، نور وهو يجلس على البحر وهو مقيد اليدين والرجلين وقلت نور... والرؤية اختفت

وقال: اقرئي إذاً وستكونين عنده حالاً.

قلتها دون تفكير.

بعدها المكان أظلم وسمعت أصواتٍ كثيرةً مرعبةً وهمهماتٍ وطنيناً في الهواء، كانت أذناي داخلها كاد يخرج من شدة ذبذبات كنت أسمعها، شعور وجع ووخز في جميع جسدي وتنميل في أطرافي، ورأيت نوراً أحمر مائل إلى سواد يشع من مكان بعيد ويقترب، مع اقترابه كنت تركت الأرض وجاذبيتي بالأرض اختفت، وكنت أُحمَلُ في الهواء، انتابني شعور بالخوف، الذعر، ماذا فعلت بنفسي!!

رأيت وجوهاً كثيرة وليست واضحة، شكل وجه متغير، وجهي أم لا؟

لا أعلم ولكن كان يشكل بأشكال مخيفة وكل مرة يتغير للأسوأ، أغمضت عيني وسمعت الهمهمات ثانية، كانت تعلو وتعلو فتحت عيني وجدت الوجوه اختفت والضوء الأحمر كان مخيفاً والهواء حملني، وذهبت مع ذاك الضوء الأحمر وبعدها رأيت البياض، كنت محمولة لا أرى جسدي، لا أرى إلا بياضاً فقط، كأن مقلتي عيني غادرتهما!

بعد وقت لا أعلم ما هو نظرت إلى الأعلى، رأيت السماء كلها غيوم رمادية جلست أنظر حولي ورأيته...

رأيت صدلغيم وهو جالس ينظر إليّ وكأنه رجع كما كنت أراه من قبل بشكله الوسيم، كان ينظر إليّ وهو مبتسم، وكأن لون الزهر وجِد من خديه!!

وشفاهه حمراوان كالرمان، وعيناه مثل لون البحر الهادئ، تجاهلت كل هذا وكأني لم أرَه ولا المغزى من ذلك.

ـ وقلت: أين نور؟

ـ قال: هو موجود ولكن الآن سنبحث عن ولدينا، سنذهب أماكن كثيرة لتنتشر رائحتك، وهما يأتيان على هذه الرائحة، أعلم أن رائحة جسدك الجميلة تجلبهما سريعاً ويتشوقان لها مثلما أنا مشتاق لكِ.

ـ قلت بكل صرامة: إياكَ أن توهم نفسك بأن هذا الكلام المعسول السمج يضعفني ولا شكلك الأنيق ذاك، أبداً أيها المسخ أنت نتن وستظل نتناً، إني شُفيت من حبك المزيف، ولا أرى أمامي غير هذا القبح والنَفَس الكريه والدفء المزيف.

ـ أعلم يا حبيبتي أنك غاضبة مني، وأنني تركتك وذهبت من قبل..

ـ قاطعته: صَهْ... لا أريد أن أسمع أعذاراً ولا كلاماً فارغاً أريد أن أرى ولدي فحسب.

ـ قال: ولكن نجد ولديّ أولاً.

ـقلت: لا، ولدي

ـقال: تحت أمرك يا حياتي، قالها وهو يبتسم غزلاً.

جاء ليمسك يدي ولكني أفلتها وقلت:

ـ ابتعد عني

ـ قال: وبماذا نصل لابد أن أمسك يدك الناعمة وأطير بكِ

_ قلت: أأنت تقترب مني! كيف؟!

قد غضبت عليه

_قال: الأمر بدأ أن يكون مختلفاً يا حياتي الآن.

_ مختلف!

وأخذ يدي وطار بي مثل السابق. لا أكذب لقد كنت مشتاقة لأطير ثانية ولكن ليس معه.

الفصل التاسع

صدع الأرض

أنتِ البعيدة القريبة، أنتِ الروح التي تسكن بين أضلعي، وأنتِ الساكِن بين أنفاسي، الإقلاع عنك صعب ولكني أتمناه، البعد عنكِ مرار والقرب نار، ولكن أتمنى النار وأشتهي سكن روحك ومراقبة أنفاسك، الاقتراب منك فيه شقاء قلبي وفيه نقاء روحي.

كنت بعيداً عنك جداً، كنت محبوساً بين صدوع تحت الأرض، وفوقي كان البحر تحت عرش والدي، وكان يعاقبني، لأنني أحضرتك إلى هنا في أرضنا أرض الجن، وتعرفين أسرارنا ومن الممكن أن تهدمي عرشه وأنتِ إنسية.

كنت أعارضه دائماً لأنه ولا يوم يفهمني، ولا يقدرني كنت أكرهه وسأظل أكرهه.

بعدما أخرجني من صدع الأرض كنت أيقنت أنه عفا عني ولكن لا...

ظلَّ يذلني ويقطم ظهري وكانت الجن والغيلان تضحك عليّ دائماً، بعدها تركني ذليلاً في خدمة إنسي كان يطلب مني طلبات، أنتم تقولون عنها أنها كفر، كان يؤذي بها أناساً كثيرة، وكانوا الأكثر من بني دينه. تعرفين أنه كان قساً من قساوسة الكنيسة مثلما تطلقون عليها؟! كان يدعوني لدينه كثيراً وأنا كنت أرفض بسبب ظلمه لبني دينه.

كان يمثل على الناس العفة والتدين والعفو، وهو كان بداخله كريه القلب، لا يشعر بألم أحد ولا يأبه لأحد، تركني بعد عذاب، ولكن قد لقنته درساً لا ينساه طول حياته.

لماذا أنتِ صامتة؟

ـ حياة: ولماذا أرد؟ لا يعنيني ما تقول.

ـ صدلغيم: كيف لا يعنيكِ! أنا أبرر لكِ تأخيري عليكِ وأنني كنت أتألم من بعدكِ، وكنتُ قد ائتمنت مولين عليكِ، أعلم أنه صالح وأيضاً مسلم مثلك ويخشى ربه كثيراً.

ـ حياة: وأنتَ ما دينك؟ تقول مسلم مثلك ومن حكايتك علمت أنك لست نصرانياً، من تكون ولأي دين تنتمي؟

ـ صدلغيم: أنا حر، لِمَ أتبع ديناً به قوانين، وبه أوامر وفروض أؤديها؟ أنا حر وسعيد بحريتي.

ـ حياة: امممم.... متي سنصل؟ هذا المكان بعيد أم ماذا؟

ـ إلى حد كبير هو بعيد.

بعد وقت طويل من صمتي قلت له:

ـ وأنا كل ما يعنيني أن أصل لولدي فقط.

وصلنا مكاناً غريباً جداً، كانت جبال شاهقة صخرية حمراء، حمراء مثل النار، وبين الجبال نهر كانت حافة الجبل مستقيمة وتحتها ذلك النهر، لا أرى شيئاً حتى الآن ولا مخلوقاً.

كان الهواء هادئاً، وكانت الجبال جميلة جداً، ولكن عندما أرى النهر تحتها قلبي ينقبض.

إلى أن وصلنا إلى أحد الجبال، وكان فوقها أكواخ كثيرة، وكانت الأكواخ متراصة بجانب بعضها، ليست كبيرة ولكن بجانب بعضها تصاعدياً

وتنازلياً وجانبياً، كانت مخيفة بعض الشيء، لا طرقات ولا حارات أكواخ فقط.

صدلغيم أنزلني وقال أنْ أنتظره بعض الوقت؛ ليذهب لجلب نور لأراه، ولكني رفضت، رفضت أن يتركني مثل الماضي وقلت:

ـ لا بد من الذهاب معك لأراه وأرى أين يعيش ومع مَن.

وافق على مضض. ذهبت معه ودخلنا كوخاً كان لونه أخضر، الكآبة تحيط به ويقبض القلب كثيراً، رائحته كريهة.

كنت قد أحنيت جسدي لأدخله وهو مظلم بعض الشيء، سمعت أصوات كثيرة.. أصواتُ ضوضاء أطفال كثيرة، مثل الرياض، وكأني داخل روضة.

بعد ممر طويل مظلم دخلنا على ساحة كبيرة يوجد بها أطفال بأعمار مختلفة، نعم، إنهم من الإنس مثلي، ولكن...

أفقت من غفلتي وأنا أجثو على ركبتيّ كنت أنظر إلى شيء لا أعلمه.

وقفت ثانية وأنا تائهة وأنظر حولي، ماذا دهاني وما هذا المكان وأين أنا؟ تذكرت عندما نظرت لصدلغيم ورأيت هذه الجنية..

شيء يشبه الإناث؛ شعرها طويل وأسود جداً، وجهها باهت وعيناها سوداوان لا بياض، كان شق عينيها بالطول لا بالعرض مثلنا، نحيفة، بروز عظمها ظاهر بشكل ملحوظ، كانت مخيفة حتى بصوتها الذي تسمعه مثل صوت وصدى صوت معاً.

ظلت تتحدث مع صدلغيم بلغةٍ لا أفهمها، ولكن حين تتكلم تُخرِج لُعاباً من فمها، يا له من منظر مقرف!

ـ قلت لصدلغيم: من هذه؟

ـ قال: إنها التابعة "فدوله " هي التي ترعى ولدك

ـ قلت: إنها مخيفة، لا بد أنه خائف منها.

ـ ضحك كثيراً وقال: لا تعرفين قدرة "فدوله" إنها تسحر من أمامها بحنانها تسمى عندكم أو رجال دينكم يطلقون عليها "أم الصبيان"؛ لأن هذه أنواع من الجنيات تكون مسؤولة عن قتل الأجنة وتشويههم، وتجعل المرأة عاقر و... ماذا أقول عليها وهي داهية كبيرة.

كنت في حالة سكون لا مفاجآت وأنا أعرف عالم الجن أو أعرف أن لا مفاجآت، نظرت إلى الأطفال بخوف كأن انتباههم ليس حاضر شاردين ينظرون إلى فدوله أينما ذهبت، كنت أبحث بينهم ولكن لا أراه، بينما أمر صدلغيم هذه الجنية بإحضار نور.

ذهبت إلى الأطفال وأحضرت لي نور، نظرت له باشتياق كبير وكانت الدموع تنهمر من عيني وأنا أذهب إليه مسرعة لحمله وضمه إلى صدري، ولكنه ابتعد عني واختبأ وراء الجنية البشعة!!

ـ قلت له: يا نور أنا أمك أأنت مشتاق إلي؟

كان صامتاً.

صدلغيم حدّثَ الجنية بلغته، بعدها هي تحدثت مع نور بلغة لا أفهمها أيضاً، وجاء إليّ.

أخذته بين أحضاني ولكنه كان متجمداً كالحجارة، كأني أحتضن صخراً وليس ولدي!

نظرت إلى صدلغيم وقلت:

ـ هذا ليس ولدي، أين ولدي؟

ـ قال: هو ولدك ولكن فدوله تتحكم به ويكاد لا يسمعنا.

حزنت كثيرًا وحدثته بل رجوته أن يرجع إلى عالمي ويكون مثلما كان، لكنه رفض وقال أنّه لا يرجع إلا في حالة رجوع أولاده له

نظرت إلى نور وحدثته ولكنه لا يراني أبداً.

ـ صدلغيم: هيا نذهب إذاً.

ـ حياة: نعم هيّا.

كانت الدموع تملأ وجنتيّ وشعور بالضياع يملؤني، ذهبت وأنا كلي يقين أن نور عيني سيرجع لأحضاني قريباً.

الفصل العاشر

غنواق ساحر الجن

عندما جاء الضوء في عيني نظرت له بخبث وابتسامة بلهاء، وقلت له:

ـ لماذا أحببتني؟ كنت أعدت علي ذكر هذا السؤال كثيراً.

ـ قال والشوق في عينيه: لا أعرف أنا أحبك دون سبب، سأقول لكِ شيئاً، إذا وجدت ما أبحث عنه بكِ، سأفرغ وإذا علمت لماذا أحبك تركتك، أنا فقط أحبك دون سبب.

ـ حياة: لا أنت تكذب، أنت تعرف لماذا تحبني.

ـ ضحك ونظر لي في عيني وقال: أنا أحبك لأني أحبك، ولا أعلم لماذا أحبك. أنا لا أقدر على تركك ولا فراقك عندما أنظر إليكِ أشعر بالأمان؛ فأنتِ حياتي وسكني وأماني.

ـ قبلته وقلت له: إني أحبك أكثر من أي شيء يا آدم. وأغمضت عيني وأنا أتذكر لحظات حبي معه.

ـ قال بكل عصبية: كفى إلى هذا القدر!! لا أريد أن أعرف شيئاً آخر اصمتي أو نامي قليلاً.

ـ قلت: إني صامتة ولا أتكلم.

ـ صدلغيم: أنا أسمعك جيداً، وأشعر بما تشعرين وكفى أيتها العاشقة إني لا أتحمل هذه الذكريات، تذكري شيئاً آخر.

ـ حياة: أنت لا تدخل في جسدي صحيح؟ كيف تعرف بما أفكر؟

ـ قال: تقريباً كل سكان الجنّ على هذه الأرض سمعوا ما تتذكرين وليس أنا فقط، أنتِ تتخيلين فقط، هو لا يحبك، هو فقط يمتلكك وجاء الوقت الذي يفقدك فيه.

ضحكت ضحكة انتصار ليعرف أني على حق، ونظرت بعيداً؛ فقلت:

ـ إلى أين الآن؟ أنت منذ زمن وأنت تحلق بي.

ـقال: أولاً سنتجه إلى الغول "غنواق" ليغير لكِ مظهرك كي لا يتعرف عليكِ الجنّ.

ـ أنا لا أريد أن أغير شيئاً، أنا أريد ولدي فقط.. وأنت تُحَلِّق بي في أنحاء أرض الجن لتجد أولادك وبعدها تتركني، ماذا تريد الجن مني إذاً؟

ـ الجن تريد منك الكثير يكفي أنهم يعلمون أنك عشيقتي.

ـ ماذا تقول! أنا لست بعشيقتك أيها الوقح، أريد ابني وكفى لهواً.

صمت، وصمت كثيراً...

كنا نحلق فوق أشجار أوراقها برتقالية لا أرى أرض هذه الأشجار من كثافتها كانت جميلة ومخيفة أيضاً، مخيفة في تخيلي لها وأنا أمشي تحتها وهي بالتأكيد مظلمة وتحجب الشمس، كانت الأشجار ليس لها نهاية فعلاً هذا المكان جميل حقاً سبحان ربي خالق الأرض ومن عليها، وخالق بديع ألوانها وجمال هيئتها!

وأنا أطير أكاد أنظر إلى نهاية الأشجار وفجأة...

أفقت وأنا نائمة نظرت حولي وكأني في أرض محترقة ليس بها شيء، تذكرت عندما كنت فوق الأشجار وفقدت الوعي وأنها ليست المرة الأولى التي أفقد فيها الوعي.

قمت من سباتي لأنظر ولكن لا شيء، ناديت بأعلى صوتي على صدلغيم وجاء في غمضة عين وقال:

ـ استيقظتِ أيتها الكسلانة؟

ـ قلت: ماذا حدث؟

وضع يده على عيني وأزالها وذهبت بذهني بعيداً وتذكرت ما حدث.

كنت أنظر إلى ذلك الشيء الكبير الذي ظهرَ من بين الأشجار سميناً جداً وطويلاً جداً جداً كأنه جبل ظهر فجأة، ونظر لصدلغيم وانحنى له، أتذكر حين نظرت له ولا أقدر على مغادرة عينيه، كان يسحر نظري، وانتصب جسدي ولم أقدر على تحريكه إلا وقد قمت من سباتي هنا.

ـ قلت لصدلغيم: ما هذا الشيء الضخم؟

ـ قال: إنه "غنواق" غول السحر في أرض الجنّ، أحضرتك له ليهيّئ لكِ شكلاً غير شكلك البشري، حتى لا يتعرف عليكِ الجنّ.

نظرت له وقد علمت ما يدبر له وعلمت بمدى خبثه وقلت:

ـ ولماذا تغير شكلي وأنا هنا لكي تتعرف أولادك عليّ ليحضروا، أم أنت تتلاعب بي!

ـ قال: لا أبداً أنا أخاف عليكِ فقط من الجنّ، وهذا السحر يعطيكِ القدرة على رؤية أي مخلوق منا وليس مثل ما حدث في بيت فدولة، عندما رأيتِ الغول الصغير وقعتي له ساجدة من شدة سحره عليكِ، ونفس الشيء مع غنواق، هو معنا الآن ولكن غير مرئي لكيلا تُصعقي منه ثانية.

ـ قلت له: لا سحر، ولا تغير شيء، هيا نذهب وننهي مهمتنا وكفى مراوغة.

سمعت صوتاً عظيماً كأن البرق ينطق ويتكلم وقال:

ـ من هذه التي تعصي أمر مولاي صدلغيم؟ أتريد أن أسحرها الآن يا سيدي؟

غير أنني صُعِقت من صوته نظرت لصدلغيم وقلت له:

ـ أتسحرني! لماذا؟ لماذا تسحرني ولأي شيء تخطط؟

وظللت أقرأ قرآناً حتى لا أنصاع إلى سحرهم، ولكن صدلغيم عرق كثيراً وفي لحظة وجدته مريضاً، وصوت هذا الشيء الذي مثل البرق يصرخ ويصرخ، ومن قوة صوته أحسست أن الأرض تهتز وتنشق، كانت أذناي لا تتحمل ذلك الصوت المرعب، وظللت أقرأ وأقرأ، حتى ظهر لي ذاك الشيء الكبير ثانية، وهو غنواق، نظرت له جيداً وهو يتعذب من صوتي وقراءتي له.

ـ وقال: كفى كفى، كفى وإلا أحرقتك.

وأنا مستمرة بالقراءة وهو يتصبب عرقاً ومغمض العينين، ويضع يديه على أذنيه، كانتا كبيرتين وعيونه سوداء كانت عينه بحجم جسدي بأكمله، وله أنياب كبيرة تخرج من فيهِ، ولونه رمادي له بطن سمين جداً، ورجلاه مثل

القرفصاء وقدماه للخلف وليس للأمام مثلنا، ظل على هذا الحال حتى خرَّ في الأرض وصدلغيم لا أراه، لا أراه أبداً.

فرغت من القراءة وتركت هذا الشيء النتن وذهبت.

خرجت إلى الأشجار، كان المكان صافياً وجميلاً جداً، كنت لا أعلم أأبحث عن الغبي صدلغيم أم أتركه وأذهب وحدي؟ هنا وهناك أبحث عن أبنائه المخيفة مثله، هذا إن كان لديه أبناء من الأساس.

وجدت شجرة بها زيتون أخضر قطفت منها وأكلت كثيراً كنت جائعة حقاً، وأنا أمشي تحت غروب الشمس وجدت شيئاً يطير ناحيتي؛ ليس طيراً ولكنه مثل البشر وله جناحان كبيران، كان يطير ناحيتي مباشرة. وجدت شجرة اختبأت تحتها، وأنا أراه يطير باتجاهي. كنت خائفة جداً ولا أعلم من هو وماذا يريد مني؟

ظللت مختبئة تحت جناح الشجرة إلى أن وقف على الأرض، لا أرى ملامحه جيداً، وهو يمشي باتجاهي.

ـ من أنتِ أيتها الإنسية؟

سمعتها وكان الصوت صوتَ أنثى وصوتاً حاداً، وفي نفس الوقت به شجن.

صمتُ... اقتربت مني وقالت:

ـ مَن تكونين؟

اقتربت أكثر مني وقد ارتعبتُ منها كثيراً، ورجعت إلى الخلف وأنا أرتجف.

ـ قالت: لا تخافي أيتها الإنسية، فأنا لن أؤذيكِ ولكن أريد أن أعرف من أنتِ.

ـ قلت: إذا لا تريدين إيذائي اتركيني وشأني واذهبي، وإلا أحرقتك.

ـ قالت: لا أؤذيكِ صدقيني، ولكن أريد أن أعرف من أنتِ ولماذا أنتِ تظهرين للجن بهذه الهيئة، أأحدٌ جاء بكِ إلى هنا؟ جن عاشق أم أنتِ ساحرة؟

ـ قلت: لا هذا ولا ذاك، أنا هنا لأمر آخر ليس لكِ شأن به، اتركيني واذهبي من حيث أتيتِ.

ـ قالت: وما هذا الشيء الذي جاء بكِ إلى هنا؟

ـ حياة: أنتِ متطفلة حقاً! وما شأنك أنتِ!؟

ـ قالت: أنا أحميكِ صدقيني، أنتِ هنا وحدك أنتِ بالتأكيد معكِ جن أو أنك ساحرة وجئتِ لشيء عظيم....

ـ قاطعتها وقلت: أصدقك! أنتِ جنية وأصدقك! اذهبي من هنا لا أريد رؤيتك.

ـ نظرت إلي واقتربت وقالت: ستأتين معي، ستأتين وتقصين لي حكايتك كلها وصدقيني أنك لن تفلتي مني، وبالتأكيد سيكون هناك تفسير لمجيئك هنا.

وحملتني وطارت!

الفصل الحادي عشر

مولين

قاومتها بشدة حتى لا تسحبني لأطير معها، كانت تطير للأعلى وأعلى عن الأرض.

وهي متمسكة بي وأنا أريد أن أفلت من قبضتها وبالفعل بعد مقاومة مني أفلتُّ منها ولكن.. ولكن يا ويلي أنا أقع على الأرض! وكانت الأرض بعيدة جداً، الموت قادم لا محالة سامحني يا رب. كنت أردد الشهادة حتى لحقت بي وأمسكتني بقدميها، وأحكمت قدميها على كتفي، لا أدري أأحمد الله على إمساكها بي، أم أخاف من شيء لا أعلمه بانتظاري؟

ظلت تطير بي، هي ليست سريعة مثل صدلغيم، ولكن ترتفع كثيراً عن مستوى الأرض، ظلت تطير حتى وصلت إلى جبل كبير جداً، حوله أشجار كثيفة مثل الغابة، وعندما اقتربنا من الجبل وجدت فتحة كبيرة داخل الجبل وهي تطير باتجاهها.

بعدها تركتني بهذا الكهف الذي يوجد داخل الجبل، الكهف كبير جداً جداً من الداخل توجد فتحة من داخل الكهف تدخل منها أشعة الشمس ووسط الكهف الكبير بركة ماء.

تركتني بين أحجار الكهف، كنت خائفة جداً أشعر أن الهواء يحمل خوفي، وأنفاسي المرتعدة تسير في كل مكان.

تركتني وبعدت بعيداً جداً عن ناظري، كنت أسمع أصوات غيرها، أصوات أحدّ من نبرة صوتها.

كأنها أم تهمهم مع صغارها، شعرت أنني فريسة منتظرة الذبح وستطعمني لصغارها! يا ويلي، ما هذا الرعب الذي أشعر به وأين أنت يا صدلغيم الشؤم، من مكاني هذا: لعنة الله عليك.

انتظرت كثيراً حتى شعرت باهتزاز يصدر من خارج الكهف

كنت قاربت على الإغماء من كثرة الخوف، وزاد الاهتزاز كثيراً حتى وصل شيء لا أراه بوضوح.

دخل إلى المكان الذي دخلت منه هذه الملعونة، بعدها خرجا معاً باتجاهي، ونظر إليَّ وهو يقترب مني...

ـحدثني وقال: حياة! أأنتِ حياة؟

شعرت بالوخز بأنحاء جسدي ونظرت له بوجل وقلت:

ـ من أنت؟

ـ رد وقال: أنا مولين يا حياة، أتذكريني؟

ارتدت إليَّ روحي وقلت:

ـ مولين، أأنت مولين!؟

ـ قال: نعم، أنا مولين حمداً لله أنك بخير.

ـ قلت: نعم، أنا الآن بخير، ووقفت أمامه رأيته عن قرب وتعرفت عليه بسهولة بشكله المنفر ولكن المُطَمئن، وأكملت كلامي: هيا يا مولين أنقذني من هنا ومن هذه الملعونة، هي التي جاءت بي إلى هنا.

ـ قال: إنها زوجتي اطمئني وهي مثلنا مسلمة لا تخافي، ولكنها مخطئة أنها أحضرتك بشكل خطأ، لا تخافي.

وأشار لي بالذهاب خلفه. ودخلت من حيث أتيا هما الاثنان.

كان هناك ثلاثة من الجن صغار يشبهون آبائهم كثيراً، كان منهم ولد كبير وله أجنحة سوداء ويشبه والدته كثيراً، كانوا خائفين مني باستثناء الكبير كان ينظر لي بترقب، وجلسنا وقال لي مولين:

ـ لماذا أتيتِ إلى هنا ثانية؟ لقد أخذت منكِ وعداً ألا ترجعي.

بكيت ونظرت له وقلت:

ـ أنا هنا ثانية مع الخبيث صدلغيم، لقد اختطف ولدي بحجة أن أطفاله تائهين ولا يجدهم، أنت تعلم كل شيء يا مولين، وتعلم أنني فقدت الحمل الملعون ذاك، ولكنه ضغط عليّ بخطف ولدي مني وأنا لا حول لي ولا قوة.

ـ قال: وخطفه كيف؟

ـ قلت: له تابعة اسمها فدولة وهي التي اختطفته و... (رويت له كل ما حدث لي من صدلغيم، وذهابنا لفدولة ولغنواق حتى انتهيت عند حمل زوجته لي.)

سكت قليلاً وهو يفكر

ـ وقال: إن الأمر صعب جداً يا حياة، إن تابعته التي تسمى فدولة تسيطر على ولدك حتى لو اختطفته منها لن يستجيب لنا، لأنه مسحور منها.

نظرت إلى الأرض وبكيت ثانيةً.

ـ قال: ولكن الله أقوى من أي سحر، لا تخافي إن الله معنا ولا يخيب رجاءنا.

ـ قلت: ونعم بالله، وأكملت: ولكن أنا لي أبناء من الجن يا مولين؟ هل أنت تعلم أين هم؟

ـ نظر في الأرض وقال: نعم يا حياة لكِ أولاد من صدلغيم، ولكن هو يكذب عليكِ كثيراً.

وأنا في ذهول مما سمعت قلت:

ـ أولاد! أنا لي أولاد حقاً ولا يكذب بشأن ذلك!

نظرت له بحدة وأكملت:

ولكن هو صادق بما قال، أين كذبه إذًا؟

ـ قال: إنه يكذب بشأن عدم معرفته بهم، هو يعرف أولاده وعندما رجع إلى أرض الجن عرف أبناءه وعلم مكانهم ولكن تركهم وغادر.

هو يكذب عليكِ لأنه يريدك أنتِ، هو يعشقك بجنون ويريدك وليس أولادكم.

هو جاء بكِ إلى هنا لتعيشي معه، وكان يريد أن يسحرك لكيلا تتعرف أولادك عليكِ ولا يشمون رائحتك ولا يبحثون عنكِ، هو خبيث مثلما قلتِ، إنه خطر علينا الآن، عليكِ وعلينا.

ـ قلت: لا، لا تخَف إني أحرقته.

ـ قال: لا، هو ما زال حياً، هو غادر من أمامك كيلا يصاب بأذى، أنتِ لا تعلمين شيئاً عن صدلغيم، إنه كبير الجن الطيار الآن، إنه قتل أباه لكي يحكم الجن الطيار، ويأخذ ميراث الملك منه، إنه أقوى مما سبق، هو معه جيش كبير وأنواع من الجن والسحرة، أنتِ لابد أن تذهبي من هنا، لابد أن ترجعي إلى عالمك، والآن قبل أن يجدك.

نظرت له بقوة وقلت:

ـ لن أذهب من هنا إلا وابني معي، ابني هنا ومع تابعة تسيطر عليه.

ـ قال: ابنك لا حول له ولا قوة، اذهبي أنتِ، وإذا تمكنت من الإفلات منهم به سأحضره لكِ.

ـ قلت: لا، لن أذهب إلا به.

ـ ردت زوجته: أنا سأحضره لكِ، يجب أن ترحلي وأنا سأذهب بكِ إلى عالمك، هيا.

ـ قلت: لا. جلست على الأرض وقلت لهم: لن أبرح مكاني إلا مع ابني.

نظرت لي بكل حنان وقالت:

ـ أتحبينه إلى هذا الحد؟ أتحبين أبناءك الجن مثله؟

نظرت لها وقلت:

ـ لا، لا أحد مثل نور، هو ابني الوحيد ولا أحب سواه.

بعدها أحضرا لي طعاماً وهو عظمٌ مأكول، أو بعضه مأكول!

ـ وقال مولين: هيا لتأكلي معنا.

نظرت للعظام ونظرت لمولين وقلت:

ـ وماذا آكل وهي عظام نافدة؟!

ـ ضحك وقال: هذا سحر كلمة الله، انظري إلى العظام. وقال مولين: بسم الله.

وتفاجأت بأن العظام مُلِئت لحماً كثيفاً.

ـ قلت: ما هذا!؟

ـ وقال: قلت لكِ إنه سحر كلمة الله، عندما نقول بسم الله على هذه العظام ترجع أكثر مما كانت ببركة الله، هيا هيا لتأكلي معنا، وتكوني أول إنسية تأكل مع الجن.

لا أكذب لقد شعرت بالألفة والطمأنينة ودفء الأسرة، أسرة من أفراد الجن، ولكنها قائمة على كلمة الله وتوحيده.

سبحان من سبح له من في الأرض وفي السماء. سبحان من أوجد التوحيد في قلوب هؤلاء الجن، وهم أشد أعداء الإنسان، لكن بكلمة الله يكون الأمان لبعضهم البعض، أعز مولين وأشعر براحة في وجوده وأحببت زوجته وأبناءه الموحدين.

لقد سعد من تقرب لله وعاش تحت ظله برضاه وبركاته.

أكلت كثيراً وشبعت، أحسست بالنعاس بشدة وقد وضعت يدي تحت رأسي ونمت، نمت وقد شعرت بالأمان تناسيت الذي أنتظره غداً ولكني نمت بسلام.

أفقت على ضوء النهار ونظرت حولي ولم أجدهم جميعاً!
قمت ونظرت للخلف ووجدت جنياً آخر لا أعرفه، وقف يراقبني! أشعر أنه يراقبني من مدة وأنا نائمة، ملامحه هادئة، كان يقف بثبات ينظر لي فقط.
ـ قلت له: السلام عليك إذا كنت من جماعة الإسلام.
ظل ينظر وفجأة اختفى! نظرت في كل مكان ولم أجده. خرجت من الكهف وجدت مولين وأبناءه، حدثته عن ذاك الجن وقال لي إنه خال أولاده.
قلت له: لماذا كان ينظر لي هكذا؟
صمت ونظر بعيداً ولم يجبني...
بعدها اهتزت الأرض بشدة كبيرة كأن طبقات الأرض تتخبط ببعضها البعض والاهتزاز يزيد وأصوات من بعيد جداً.
جاءت زوجة مولين مسرعة وقالت:
ـ إنه أبي، جاء ومعه جيش كبير جداً.
ـ مولين: يا ساتر يا رب هيا ادخلوا جميعاً هياا!!.
ـ قلت: ولِمَ والد زوجتك يأتي بجيش كبير؟ ماذا بينك وبينه؟
ـ قال: جاء ليأخذك يا حياة إنه صدلغيم، جاء بملكه ويعلم أنك تعلمين كل شيء الآن.
وقفت في ذهول مما سمعت ونظرت إلى زوجة مولين.

الفصل الثاني عشر

معصبة العينين

بعدما دخلنا الكهف واختبأنا به خوفاً من بطش صدلغيم وجيشه، كنت أنظر لزوجة مولين كثيراً وأقول لنفسي: أهي ابنتي أم لا؟ وعندما استيقظت من نومي كان الذي يقف يراقبني هو ولدي أم لا؟

كنت مشوشة قليلاً غير أن صدلغيم بالخارج يريد خروجي وإلا سيدخل الكهف ومن معه لأخذي.

علمت بأن صدلغيم الخبيث كان يريد مني في البداية أن يحصل عليّ وكان يتخابث عليّ، كان الوضع مؤسفاً حقاً، وكان أولاد مولين خائفين.

فجأة ظهر الجن الذي كان يراقبني وقال:

ـ هم بالخارج بأعداد كبيرة جداً، كنت واقفاً على الجبل ولم أرَ آخرهم، هم يريدونك، ونظر لي وأكمل: أترغبين العيش معه وتخرجين بسلام أم تمتلكين خياراً آخر؟

ـ نظرت له وقلت: أنا أملك حياة وأملك ولداً وزوجاً وبيتاً في أرضي، أريد الرجوع بولدي فقط ليس لي خيارات أخرى.

نظرت لهم جميعاً وقلت: أنا أملك حفظاً وقراءة القرآن اتركوني أخرج وأتلو عليهم من آيات الله وسترونهم وهم يحترقون ويفرون مما أقرأ.

ـ رد مولين: أتعتقدين أن صدلغيم يفوته هذه المعلومة؟ هو معه غيلان كثيرة، والغيلان تملك سحراً إذا نظرتِ لهم تخرين راكعة. لا لا الخروج لهم أمر مرفوض، أنا سأخرج أتحدث معه، هو صديقي وابن عمي وسأقنعه بالتأكيد.

نظرت له زوجته وقالت:

ـ لا لن تقنعه بكلامك له عن أمي لن ينتبه لأي حدث، هو يريدها فقط، يحبها بل يعشقها ولا يريد أي كلام غير الحصول عليها.

نظرت في الأرض وقد علمت أن هذه الجنية ابنتي والجني ذاك ولدي وأني أوقعتهما معي، قلبي قد انخلع من مكانه وأنا لا قوة بي لأي شيء تعبت وأريد ولدي، وفي نفس الوقت قلبي أحبهما وحننت لهما.

نظرت لمولين وقلت:

ـ لا، أنا سوف أخرج، أنت قلت عند نظري للغيلان قوتي وعقلي يذهب صحيح، وأنا شعرت بذلك مرتين بالنظر إليهم، ولكن إن لم أنظر لهم هل يحدث شيء؟

أظن أن الإجابة لا، لأني تحدثت إلى غنواق ولم أُضر منه بشيء.

ـ قال: أتغمضين عينيكِ! لا لن يفلح.

ـ قلت: سأربطهما، معي حجاب آخر تحت حجابي أربط عيني به.

ـ قال: ويداكِ أيضاً.

ـ قلت: لِمَ؟

ـ قال: سحرهم قوي، منهم جن إذا تحدث سحرك، لابد من ربط يديك أيضاً حتى لا تزيلين رباط عينيك، وواحد يكون معكِ بجوارك إذا حدث شيء.

تحدث الجن الذي من المفترض أنه ولدي قائلاً:

ـ لن أتركها.

ـ وزوجة مولين قالت: ولا أنا أتخلى عنكِ.

ـ قلت: إذاً هيا بنا.

.....

خرجت وأنا معصبة العينين والأيدي من خلفي كأنني أسيرة حرب كنت متمسكة بثباتي أمام أصدقائي ولكن كنت خائفة جداً، خرجت وبجواري أولادي من الجن ومولين، تركنا خلفنا أولاد مولين فقط وقد أمرهم مولين بأنهم يحلّقون في سقف الكهف خوفاً عليهم.

وقفت عندما مسكت يدي زوجة مولين وسمعت صوت صدلغيم يقول:

ـ ها قد أتت حبيبتي. ولكني أحذرك مني، أنا لن أؤذيكِ يا حياتي أبداً، أنا أريدك معي حيث أكون، أنتِ لا تعلمين من أكون الآن، أنا..

ـ قطعت كلامه وقلت: أنت قاتل أبيك، أنت فاسق ومحتال، أنت سارق وأفاق. نعم، أعلم من تكون، تكون ملك الجان مكان والدك، تكون ملك حاشية ضالة وفاجرة، تكون ملكاً غادراً وقاتلاً.

وأكملت: كنت تريد أولادك وها هما الاثنان.

هما وجداني، وقد علمت منهما أنك تعرف مكانهما، كنت تريدهما؟ ها هما. أعطني ولدي واتركني وسأرجع من حيث أتيت.

ـ صدلغيم: أنا ملك نعم، ولكن أحبك، ستصبحين ملكة على كل هؤلاء الجن وولدك سيكون معك ومعي وإذا كنتِ تريدين أولادك هؤلاء سيكونان معكِ، أنا لا أريد سواكِ.

أعلم أنك تقولين هما أولادك وكنت تريدينهما من البداية وها هما.

سأقول لكِ أنهما مسلمان مثل مولين، هو من اختطفهم عند ولادتك لهما وجعلهم مسلمين مثله.

عندما رجعت ووجدتهما كانا غير راضيين عني، وأنا والدهما كانا موحدين، مولين ذاك هو اللص الأفاق، أخذهما وسمى ابنتي "ماجدولين" على اسم زوجته السابقة التي كان يحبها، وبعدها تزوج ابنتي وأنا غير موافق على هذه الزيجة البشعة، وسلب مني ولدي هذا وهو عاصٍ لي، عندما فقدت الأمل في ابنتي تحدثت معه لكي يكون طوع أمري، ولكنه أبى واختار أن يكون هنا في هذا الكهف البالي، يعيشون في زهد، أهذا هو الإسلام!

ـ حياة: أتهزأ بالإسلام والتوحيد؟

إذا كنت تعتب على مولين، فمولين هو من كان بجواري حين كنت تحت التراب، هو من ساعدني وقتما كنت أحتاج إلى ملجأ، إذا كان لي أولاد منك فأنا أريد أولادي موحدين مثلي ومثل مولين، أنا أشكره بشدة على فعل ذلك الأمر.

وأنت أيها القاتل جِد لي ولدي واتركني مثلما تركت أولادي.

ـ قال: أنتِ غيرهم أنا أعشقك وأريدك كما تشائين.

لا رجوع إلى وطنك، هنا وطنك معي، هيا ازيلي هذا الرباط عن عينك ولا تخافي، معي جن يسحرونك لكي تستطيعين العيش هنا، هيا.

ـ قلت وبأعلى صوت لدي: يا معشر الجن، يا أيها الغيلان، يا أيها المَرَدَة اسمعوا وافطنوا إلى كلامي، أنا إنسية مسلمة موحدة بالله لا أشرك به شيئاً هو مولاي وسندي وهو خير حافظاً، أنا لا أخاف منكم، أنا ليس لدي سحر ولكن أملك كتاب الله في صدري وعقلي، ولن أكن مع هذا الخبيث أبداً، إنه يمتلككم وهو قاتل أبيه، هو قتل من هو من نسله الذي تربى بين أحضانه وعاش في كنفه، أأنتم أيها الجن سيبقى على أحدٍ منكم؟ لا، سيغدر بكم في أي وقت إنه فتنة ولابد من ردعه.

انظروا ماذا يفعل بأبنائه فماذا يفعل بكم؟!

هو يسير خلف شهواته فقط هو غير أمين عليكم هو أحقر مما ترونه، أنتم تساندونه على الشر، ارجعوا إلى أماكنكم، ارجعوا من حيث أتيتم واتركوه وحيداً هزيلاً، يا أيها الجن أنا لا أريد أن آذيكم ولا أريدكم تأذونني، ابتعدوا عن ذلك القاتل فقط اتركوه وحده ولا تساندوه.

ـ رد صدلغيم: أتريدينهم يتركوني أم ينقلبوا علي!

لا لن يحدث، لو تكلمتِ من هنا إلى أمدٍ بعيد من الزمن لن يحدث شيء من هذا الكلام.

إنه خيار واحد لديكِ، أن تذهبي معي فقط.

ـ رد الجن الذي يكون ولدي وقال: سمعتها وهي تقول لن آتي معك اتركها وشأنها.

ـ نظر لي صدلغيم وقال: ستذهبين معي أم لا؟

تقدم الجن أمامي وقال:

ـ لن تأخذها.

ـ صدلغيم: ابتعد أنت ولا تتدخل في شأن ليس شأنك.

ـ قال الجن: إنها أمي وأنا أحميها منك.

ـ صدلغيم: يا حياة لا أريد قتل ولدي، هيا نذهب دون دماء.

لقد خفت كثيراً لا أعلم على من كنت خائفة، على ولدي من الجن أن يقتله صدلغيم أم على عائلة مولين أم على نفسي؟

ـ تكلمت بعد تفكير وقلت: غداً سأقول لك.

ـ قال: لا.

ـ قلت بلهجة قوة: قلت لك غداً.

ـ سكت قليلاً وقال: لن أبرح مكاني هذا إلا وأنتِ معي، سأنتظر إلى الغد وكوني واثقة ستذهبين معي أياً كانت العقبات.

الفصل الثالث عشر

مجدولين

كنت أعشقها، عندما التقيت بها لأول مرة، كنت على دين الكفر كانت هي أيضاً كافرة واسمها "قديشة"، كنا نحكي عن كفرنا بفخر ونتحدث عما مضى من حياتنا ونحن نعمل على أذى بني آدم والجن الضعيف، نحن لا نؤذي الإنس فقط بل نؤذي الجن أيضاً.

كانت جنية بحر أو جنية نداهة مثلما تقولون، كانت تقعد في الطرق تنادي على أي أحد يسير وتغويه، وإذا طاوعها كانت هي تهلكه أو على الأقل تُذهِب عقله.

كنت أتربص بها يوماً وأنا فوق شجرة على ضفة النهر، وهي جاءت بضحية من ضحاياها وبعد أن عذبته وأذهبت جزءاً من عقله، أغرقته في البحر أمام عيني، كانت تمسكه من طرف إصبع رجله، وتغرقه وتجعله يطفو على وجه المياه وتركته وهو قاطع النفس.

أنا أيضاً كنت مثلها أتلذذ بأذى البشر، كنت أغتصب النساء وأرعب الرجال، وأحدث هلع للأطفال كانت متعتي.

إلى أن جاء يوم حدث وأحببت إنسية، وكنت معها يومياً أغتصبها وأجعلها تفعل أشياء مشينة، كنت غير صدلغيم، صدلغيم يريدك له وحده.

أما أنا كان الكفر قد تملك مني حتى الذروة، أحببتها وكنت أجعلها لكل رجل غيري، أحببت تشويه صورتها أمام الإنس لأنها كانت تتمنع عني في البداية وكانت تعاندني، جعلت شرفها متهالكاً، لكي أفعل ما أريد، فعلت معها أكثر من الفواحش التي تتخيلينها أو لم تتخيليها، جعلتها تكفر.

وآخر مرة جعلت رجلاً يغتصبها وبعدها قتلها، صدمت لما فعل كنت أحبها وكنت لا أريد موتها، اعتزلت كل شيء، بعدت عن الجميع كنت أفتقدها حتى كنت قد أخذت شقاً صغيراً في جبل؛ لأعيش فيه بعيداً عن الجن والإنس وكنت قد عزمت أن أتمم حياتي به، حتى حدث شيء ما كنت أتوقعه أبداً.

دخل رجل الشق الذي أعيش فيه، كنت أجلس بعيداً عنه، وهو يتمتم بكلمات لا أعلم عنها شيئاً، في بادئ الأمر كانت الكلمات ترهقني وكنت سأروعه كي يخرج من شقي وكنت على وشك ذلك، ولكن صدري اطمأن لكلماته وكنت أسمعه وأسمعه حتى جاء الصباح وخرج، سرت خلفه حتى وصل إلى بيته علمت بعد ذلك أنه كان يخاف من أحد، كان يريد قتله وهو استعصم بهذا الشق، ظللت معه عدة أيام لأعرف ما هذه الكلمات ومن هو، إلى أن وصل بي الحال وأسلمت واستبدلت الشق بالمسجد ومكثت به طويلاً إلى أن هدموا المسجد، وخرجت منه لأجد مسجد يأويني وبالمصادفة قابلت "قديشة" وهي مع رجل تريد تعذيبه، نظرت لها لكي تنتبه لي، ولكن كانت عزمت على أمرها، كان ذاك الرجل مسلماً غرت عليه كثيراً، وأنه من بني ديني، حقاً هو بعيد عن الله، ولكن الله يمهل الفرد ويترك الفرصة له ليرجع إليه مثلي أنا.

حدثتها أن تتركه وهي أبت بشدة، كنت نويت على ردعها بالقوة ولكن تراجعت في آخر وقت، وحدثتها بلين إلى أن أُفلِتَ الرجل من قبضتها،

اشتعلت مني غضباً، ولكن حدثتها كثيراً كانت تفر مني، ولكن عزمت على أن أجعلها تترك ما تفعله بالإنس يومياً، ظللت وراءها كل يوم أجعلها تفقد صوابها وتترك ضحاياها، ولكن في يوم جاءت إليَّ وحدها لتغويني وترمي عليّ كلامها المعسول، أتذكرها وهي قد تزينت لي لتغويني لكي تغدر بي وتقتلني لترتاح مني، ضحكت لها وأنا أعلم ماذا تفعل وماذا تريد بي، ولكن كنت قوياً جداً، ألقيت عليها كلمات قد علمني ربي إياها، عزمت على أن تجري من أمامي، كنت وراءها حتى وقعت على الأرض لا تقدر على الحراك، أخذتها بعيداً جداً عن كل البشر والجن، سجنتها حتى تسمعني ولا تفر مني، كنت ألقي عليها من كلمات ربي يومياً وهي تعاندني، كانت تستغيث من كلماتي وتريد الفرار، لا أعلم لماذا كنت أفعل ذلك، كنت أحبها أم أريدها أن تتوب عما تفعله، واكتشفت أن نتيجة الحالتين أنني أحبها وأريدها ولكن بحلال ربي، وأن تكون موحدة مثلي وتترك ما تفعله ونعيش سوياً.

حتى جاء يوم خرت أمامي من كلماتي وأنا أقرأها لها، كانت على وشك الانهيار.

بعدت عنها عندما فقدت الأمل منها تركتها وقررت أرجع لأعيش مثلما أريد، كنت أجلس في زاوية لأصلي وجاءت خلفي وجلست حتى انتهيت، وقد أعلنت إسلامها. بعدها سميتها "مجدولين" على أنها مجد أنا فعلته ونهاية اسمي لتكون مجدولين خاصتي.

تزوجتها وعشنا بجوار بعضنا سنين كثيرة جداً وأنجبنا أولاد كثيرة، كنا نعيش فوق جبل كان يشبه الجنة أو هكذا كنت أشعر، إن هذا المكان فيما تطلقون عليه غابات الأمازون.

حتى وقعت حادثة الأشجار، نار هائلة أحرقت بيتنا وبعضاً من أولادي حُرِقوا وهي كانت تنقذهم من الحريق، ماتت لأنها لا تستطيع الطيران، كانت فقط جنية ماء، وبعضٌ من أولادي نجوا من هذا الحريق، أخذتهم بعيداً حتى كبروا وتركوني وحيداً، بعدها علمت بأمرك من صدلغيم.

وكنت معك حتى تركتِ القبر ودخلتِ المستشفى، وكنت عند ولادتك وكنت أعلم أنه ميعاد ولادتك، حتى انتهى الأطباء من عملهم وأعلم أنهم لم يروا ما أنجبتِ، كانوا يتعاملون معك على أنك أجهضتِ، أخذت المولودين وأنا أعلم أن ليس لهما أحد، وأن جدهما سيرفضهما أو سيقتلهما إذا تركتهما عنده.

ربيتهما حتى كبرا ونحن نختلف عنكم، نحن حملنا وبلوغنا سريعاً غيركم، سميت الأنثى "مجدولين" والذكر "مجدان" وعندما بلغت مجدولين أعجبت بها وعرضت عليها الزواج وهي قبلت، وهي تعلم كل شيء عني وعن حياتي السابقة.

بعدها جاء صدلغيم إليَّ وسأل عن أولاده، كنت قد تزوجت من مجدولين، عرض عليهما أن يذهبا معه ولكنهما رفضا، هو غضب كثيراً وتركهما.

ولداكِ ها هما يا حياة إني قد عاملت فيهما ربي وربيتهما مثلما كنت أربي أولادي، هما فضلا أن يعيشا معي موحدين.

بعدها مولين سكت، كنت لا أعلم ماذا أقول وقد جاءني من حكاياه عدة أسئلة نسيتهم جميعاً بعدما فرغ من كلامه، ولكن نظرت لولديّ الاثنين كثيراً، كانت مجدولين تنظر لي باستمرار، ولكن مجدان كثيراً ما يبعد نظره عني.

لا أعلم شعوري تحديداً تجاههما ولكن كنت أرتاح للنظر إليهما، راودني سؤال كان يلح كثيراً عليّ أن أسئله لمولين...

ـ وقلت: يا مولين كنت تقول قبل قليل أنك كنت تعيش في الأمازون صحيح، كيف وأنت كنت تعيش هنا على أرضكم، أرض الجن؟

نظر لي بعدم وعي قليلاً وقال:

ـ لا يوجد أرض للجن فقط، أنتِ لا تعلمين أن هذه الأرض هي نفس الأرض التي يعيش عليها الإنس؟

ـ حياة بلهفة: لا، كنت أعلم أنها أرضكم، وأعلم أنها تحت أرض، لا أعرف هذا الكلام صحيح أم لا.

ـ مولين: لا يوجد أرض تحت الأرض، أسمع عنها في الغيبيات فقط، ولكن نحن نعيش معكم على نفس الأرض، يوجد حولنا أناس عديدة.

ـ قلت: حقًا! وأين هم؟

ـ قال: في أي مكان.

_قلت: ولكن لا أرى أحداً منهم، لماذا؟

_ قال: لأنك مسحورة من صدلغيم.

أنتِ الآن ترينا فقط نحن الجن، إذا تخلصتِ من سحرك سترين الإنس مثلما كنتِ.

الفصل الرابع عشر

الاتفاق المشروط

دخل الليل والكل مترقب، خارج الكهف هناك أصوات كثيرة ورفرفة طيارانهم، الجن لا ينامون دائماً متيقظين لا يتعبون ولا يملون، ولا أيضاً يشعرون بكثير من المشاعر مثلنا، عندما تكلم مولين عن زوجته السابقة أحسست بعدم اهتمام من مجدولين وكأن كل شيء عادي.

كنت خائفة من ردة فعلها، أنها تغار أو شيء ولكن لم يحدث شيء، علمت أنهم غيرنا في أشياء كثيرة، كنت أراقبها هي ومجدان لأجد ما هو الشيء المشترك بيني وبينهما ولم أجد للأسف.

بعد حديثي معهم وجدوني مشوشة الفكر، تركوني لأرتاح وأنام الليل لعلي أستيقظ وأقول لهم ما يدور في خاطري، والحقيقة أنني لا أعلم ما يدور بخاطري.

تركتهم ونمت كنت تائهة ومتشوقة لنور كثيرًا وخائفة عليه، سلمت أمري لله ونمت وتيقنت أن الله لن يخذلني أبداً، هو معي وفي قلبي دائماً، يا الله اهدني الصراط المستقيم.

أفقت من نومي باكراً، كانت مجدولين بجواري هي وابنها الصغير كانت تداعبه، وكانت مداعبتهم غريبة جداً، كانوا يلتفون حول بعض ويركلون بعض، اعتدت على هذا الشيء بعد استغرابي له أول مرة، ومولين قال لي لا تخافي هذه مداعبة الجن الخفيفة، هناك مزاح غير ذلك وهو بالمناسبة ينهي حياة البشر إذا مزحوا مع بعضهم البعض، كنت أنظر لهم ونسيت أمر

صدلغيم في الخارج وهو منتظر ردي، ولكن تذكرت عندما جاء مجدان يسألني عن قراري.

لا أكذب عليكم أنا لا أعلم ماذا أقرر، كان ملهوفاً لسماع ردي لا أعلم لماذا!

تركته بذهني وذهبت بعيداً إلى آدم ونور وفات وقت لا أعلمه، جاء مولين ليخبرني أن صدلغيم يريد خروجي وإخباره بقراري، كانوا متلهفين ليعرفوا القرار ولكن ربطت عيني وخرجت دون أن أجيب أي سؤال يطرحونه.

خرجت إلى الملعون وتحدثت إليه، سمعته حينما قال: يا حياتي...

ولكني قاطعته وقلت:

ـ يا صدلغيم اسمعني جيداً، وقبل أن أقول قراري، سأملي عليك شروطي وعليها توافق أو ترفض سيكون الأمر بين يديك وليس أنا.

ـقال: ولكن أمس اتفقنا على أن تقولي نعم أم لا وليس هناك شروط.

ـ قلت: شرطي الأول أن نور يرجع إلى والده ولا تفعل به شيئاً أبداً أنت أو جنايتك، وأنا من أوصله لأبيه وليس غيري وأراه حينما أريد.

الشرط الثاني..

ـ قاطعني وقال: الأول نصفه مرفوض.

ـ قلت: إذاً لست موافقة على أن أعيش معك، حتى أنك لم تستمع لباقي كلامي

ـ قال: أكملي ولا أقاطعك.

ـ صمتُّ قليلاً وقلت: الشرط الثاني
أنك لن تسحرني أبداً ولن أكون مثلكم.
الشرط الثالث
مولين وزوجته وأبنائه ومجدان سيكونون معي أي مكان أذهب إليه.
الشرط الرابع والأخير
سأكون معك يوماً واحداً فقط كل أسبوع، وباقي الأيام تتركني أفعل ما أفعل كما أريد.
كنت أترقب رده وكنت خائفة ولكن مثلت القوة لكيلا يستهين بي، كان يجب علي قول ذلك وأعرف أنه سيفعل أي شيء يريده هو، ولكن قبل بدء العلاقات لابد من فرض الشروط لنخلق حياة متزنة هذا ما تعلمته مؤخراً ولكن لا أعرف أهو سيجدي نفعاً مع الجن أم لا.
ـ رد علي وقال: أوافق على كل الشروط ولكن هناك شروط على تمام الشروط خاصتك، سترافقين ولدك إلى أن ترديه لأبيه، ولكن دون رؤية أبيه لكِ.
ثانياً هناك جنيات سيرافقونكِ في أي مكان تكونين فيه يحرسونك، لا تريهم بشكل كامل ولكن لحمايتك من أي جني أو رؤية ما لا تقدر نفسك عليه.
والشرط الأخير متروك لوقت آخر للمناقشة.

كنت أشعر ببعض الفرح لأن ولدي سيرجع لأبيه معافى، ولكن كنت خائفة من المجهول وشعرت بيد مجدان تمسك بيدي، أحسست بالأمان قليلاً وهو ممسك بيدي وأخذ بي وذهبنا بعد أن حملني مجدان على ظهره وهو مثل أبيه يطير سريعاً، كنت أشعر بالجن حولي والضجيج الكثير حولي إلى أن وصلنا ووقف بي مجدان.

مجدولين طلبت مني فتح عيني لأرى القصر الكبير، فعلاً كان كبيراً جداً كانت مملكة لا قصراً، كانت على الماء.

جبل كبير جداً على الماء كان الجبل نصفه القصر أو المملكة بنيانها عالٍ بطول الجبل كانت بلون رمادي، بها تماثيل شاهقة كانت تماثيل مخيفة جداً لا أعرف هذه مخلوقات مثلنا أم لا!!!

كان هناك شلال بطول الجبل ينزل من فوقه على الماء من تحته، يا ويلي ما هذا الشيء! كنت متعجبة لما أراه!!

دخلنا القصر داخل الجبل ظلام أحياناً وأحياناً ضوء.

ـ حدثت صدلغيم قلت: عليك أن تحقق الشرط الأول أولاً.

ـ قال: نعم عليكِ أن ترتاحي.

ـ قلت: لا، أريد استرجاع ولدي.

ـ قال: نعم الآن يرجع ولدك لأبيه.

أحضر لي ولدي نظرت إليه وركضت إليه وأخذته بين أحضاني ولكن كان مثل ما كان في السابق مثل الحجر.

ـ نظرت لصدلغيم وقلت: أريد ولدي مثل السابق أريده طبيعياً ويتعرف عليّ.

ـقال: لا يصح هذا، سيقول كل شيء عندما يرجع، ولكن سيظل هكذا وعندما يرجع سيصبح بخير، وإذا أردتِ زيارته لكِ كما قلتِ في أي وقت تشائين وبعد موافقتي.

ـ قلت: إذاً الآن يرجع.

ـ قال: هيا، وجاء ليمسك يدي، ولكن نظرت لمجدان وقلت:

ـ مجدان سيرافقني وهو من يحملني.

ـ صدلغيم: نعم هيا.

الفصل الخامس عشر

عيون مُخيفة

كنت هناك في بيتي كم اشتقت إلى هذا البيت وغرفه وكأنني تركت البيت منذ دهور، كنت أنا ونور على يدي وكأنه نائم، ومعي مجدان بجواري وبعدما طلبت من الملعون أن يتركني أودع ولدي من دونه، بعدما دخلت الشقة وكانت غير مرتبة كل شيء ليس بمحله كأن قبيلة فيلة مرت من هنا، كنت في وقت الظهيرة جاء بي الملعون في هذا الوقت حتى لا أرى آدم وأودعه أيضاً، وبالمناسبة أنا لا أعلم في أرض الجن كم الوقت ولا أي زمن نحن هناك كل شيء كئيب ومظلم ومعتم فيه الحياة.

دخلت غرفة نومي لأضع نور على سريري لحين قدوم آدم يراه، ولكن....

ولكن رأيت آدم يجلس على طرف السرير، ويضع رأسه بين يديه كانت الغرفة مظلمة، وقفت أمامه ونظرت له وكانت عيناي تنهمر بالدموع وهو لا يراني ولا يشعر بي! جلست على ركبتيّ أمامه على الأرض، ونظرت بين يدي في وجهه وكنت أشتاق لأنفاسه على وجهي، كان الشوق أقوى مني وأنا بين يديه، ولكن رفع رأسه ونظر لي وقال: حياة! حيااة، حيااة أين أنتِ أشعر بكِ، أين ذهبتِ وتركتني؟ ارجعي لي لقد اشتقت إليكِ كثيراً، كنت أشهق من البكاء من كلامه، نظر لي مجدان وقال:

ـ هو يحبك كثيراً.

نظرت له وكدت لا أراه من كثرة دموعي وأرجحت رأسي بالإيجاب، كاد قلبي يتقطع وأنا لا أقدر على التواصل معه.

أخذت نور وتركته على السرير وقبلت جبينه، وتركته وذهبت.

كان اتفاقي مع صدلغيم أنني عندما أذهب من الغرفة سيظهر نور لوالده تركتهما وتركت قلبي معهما وذهبت.

ذهبت إلى ذلك القصر الوضيع مع مجدان، كنت لست أنا، كنت أخذت وعداً على نفسي أنني سأنهي حياة ذلك الملعون لأرتاح منه، ولكن كان ينقصني الطريقة لفعل ذلك؛ جربت أن أقرأ من القرآن ولكنه يفر من أمامي. ماذا أفعل وهو ليس مثلنا، أقتله بسكين أو بحجر؟

شغلني التفكير كثيراً في ذلك الأمر ولكن لا أعرف طريقة التنفيذ.

دخلت غرفتي في القصر وكانت عالية جداً وبها أعمدة طويلة وبها سرير نحاسي وعليه فراش من حرير ومرآة كبيرة جداً تقف على ثلاثة أرجل كانت بيضاوية بالطول مكسوة بالذهب، بجوارها كل شيء أحتاجه من عطور وأدوات تبرج، وملابس فاضحة كثيرة وملابس غير ذلك كأنها مصنوعة من الذهب، كنت قد عزمت على ألا أرتدي أياً من تلك الأشياء هي ليست لي ولا هذه الغرفة ولا هذا القصر، كل شيء هنا ليس لي وليس مكاني، دخلت لتطمئن عليّ مجدولين وقد انبهرت بهذه الغرفة مثل انبهارها بالقصر مسبقاً، تبسمت من انبهارها وقلت لها أي شيء تريده تأخذه.

_قالت: أي شيء يا أمي؟

_ ضحكت وقلت: أي شيء.

بعدما أخذت ما أخذت وتركتني كنت متعبة جداً، ذهبت للنوم أخذت مكاناً صغيراً جداً للنوم في هذا السرير الكبير ونمت.

أفقت على عيون تنظر لي، عيون فقط كنت أنظر لهم وهم حولي من كل اتجاه كانوا ثلاثة أزواج من الأعين، كانوا يشبهون عيون الظلام فيما قبل، نظرت لهم بحدة وقلت:

ـ ماذا تفعلون هنا، اتركوني واذهبوا.

ولكن لا شيء يحدث

رفعت صوتي لهم حتى يذهبوا وبأعلى صوت قلت: اذهبووووووا

نظروا لي بفزع من رفع صوتي الشديد، ابتعدوا عني كانوا في السقف كأن أحداً قذف بهم في سقف الغرفة. ولكن لا جديد.

نظرت لباب الغرفة وهو يفتح ودخل صدلغيم وقال:

ـ ماذا!؟ لماذا تصرخين هكذا؟

نظرت له بحدة وقلت:

ـ وأنت من قال لك تدخل بهذه الطريقة، لماذا تفتح عليّ الباب دون استئذان؟

ـ قال: هذه غرفتي، وأنتِ زوجتي أدخل في أي وقت وكيف أشاء.

ـ قلت: لست بزوجتك، ولا تدخل عليّ هكذا وأريد غرفة لي وحدي.

ـ قال: هذه غرفتك وحدك وأنا ضيف فيها، أيعجبك هذا الأسلوب؟

حتى الآن أريدك كما كنتِ في سابق الأمر وأريد أن تكوني هادئة وتحبينني كما كنتِ في السابق.

نظرت له بقرف وصمت، هل عليّ هذا الكلام النتن! ونظرت للسقف وقلت له:

ـ من جاء بهؤلاء؟ لماذا هن بغرفتي؟

ـ قال: من شروطك أني لا أسحرك صحيح؟ ولهذا جعلت لكِ جنياتي يكنَّ معكِ في أي مكان وأي وقت يحمينكِ..

ـ قاطعته وقلت: لا، ليتجسسن علي!! لا أريدهن، قل لهن أن ينصرفن ولا أراهن ثانية.

أمرهن بالانصراف ونظر لي وقال:

ـ ها أمرتهن بالانصراف حتى لا تغضبي، وتعلمي أنني أحبك كثيراً، هيا يا حياتي نبدأ حياتنا الجديدة وننجب أطفالاً كثيرة.

ـ قلت: ماذا؟ ما الذي تقول أنا إنسية وأنت جني وإذا حدث مثلما تقول سيكون زنى، وأنا لست بعاهرة.

ـ قال: أنتِ ملكي أنا وليس هذا بزنى أنتِ لي، وقد مررت بالصعاب لأجل هذه اللحظات وأن تكوني معي، لأني أعشقك.

ـ قلت: لا، أنت جني كافر وأنا إنسية ولا يجوز مثل ذلك.

أنا هنا كما تريد ولا أكثر من ذلك، ومن شروطي أنك تكون هنا يوم واحد فقط، ولكن أنت تفهم الأمور بما تريد دائماً.

أنا هنا كشكل فقط لا زوجة ولا عشيقة ولا أي شيء تحلم به.

ـ قال: لا أنتِ لي في أي وقت قلت لكِ هذا الشرط متروك للمناقشة وها نحن نتناقش وأقول لكِ أنكِ لي في أي وقت أشاء وسترين الآن، لأن الآن الوقت الذي أشاءه.

ـ ضحكت وقلت: لن تقدر على هذا، وإذا عزمت على أمرك سترى.

ـ قال: إذاً أريني ماذا تفعلين.

وكاد أن يقطع ملابسي ويأخذني ويطير بي مثلما فعل بي في السابق ولكن بدأت ترتيل القرآن كنت أُتأتئ في القراءة من شدة تخبطه بي في الغرفة والسقف والأرض وعلى السرير، ولكن زدت من نبرة صوتي وبدأت قراءة سورة الجن: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}

ـ رد عليّ وهو متعب وقال: هم قوم كافرون الذين ذهبوا إلى رسولكم، كانوا بُلهاء لا يفطنون ولا يعقلون كلام رسولكم، هم جروه فقط

ـ قلت: أنت كذاب.

كان متمسكاً بقوته قليلاً، بعدها تذكرت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

السَّعِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}

وجدته عرق وكان في ألم شديد وزدت هذه الآية وكنت أعرف أثرها عليه:

{اللَّه لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

عرق كثيراً وكان ينهج بقوة وتركني على السرير، وكأنه شُلت أطرافه وبدأ يقول كلاماً غير مفهوم، وركض باتجاه الباب وخرج مهرولاً.

كنت قد انتصرت عليه وهو لم يأخذ مني ما يريد، كنت سعيدة حقاً بما فعلت، وعزمت أني كلما أراه أقرأ من القرآن حتى لا أراه ولا يراني.

الفصل السادس عشر

المخلوقات الجميلة

جلست في باحة في القصر الكبيرة جداً مع أولاد مجدولين، وقد طلبوا مني أن أروي لهم حكاية من حكايات البشر المسلية التي حدثهم عنها والدهم كثيراً وقال لهم إننا البشر نجيد تأليف الأحاديث والحكايات للعظة والتعلم..
وأنا لا أستطيع أن أروي لهم حكاية؛ فأنا لست بارعة في ذلك بل بشعة في محادثة الأطفال بالحكايات.
ظللت أفكر وأفكر ماذا أروي لهم حكاية يتعلمون منها شيئاً ولكن لم أستطع التذكر غير حكاية قد قالها لي نور والذي استمع إلى معلمته وهي ترويها وقلت:
ـ كان يا ما كان هناك ولد اسمه كرومبو لا يسمع كلام أمه، وفي يوم أحضرت له معكرونة وقالت له: هيا لتأكل المعكرونة ولكنه أبى أن يأكل وقال: لا، لن آكل..
قاطعتني "موادا" وأنا أتحدث وقالت: وما هي المعكرونة؟
قلت: إنها طعام للبشر.
قال مجدان: يا أمي هم لم يستمتعوا بهذا الحديث، هم يريدون حكاية ليس بها شيء يخص الطعام.
نظرت لهم وقد احترت من أمري وقلت: أأكمل أم ماذا؟
قالوا: اروي لنا أخرى.
نظرت بشرود وكنت لا أعرف ماذا أقول...

حتى نظرت إلى السماء وقلت: كان هناك مخلوق ليس مثلنا، جسده مضيء وصغير يطير ويسبح ويسافر في لمح البصر، كان لونه أزرق كانت البشر تحبه كثيراً وهو من يجعلهم سعداء يضعون رؤوسهم على الوسادة؛ ليأتي ويؤنس لهم وحدتهم ويسعدون به.

أحياناً يكون صادقاً وأحياناً يختلق الكذب ليسعدهم، هم كانوا يعلمون بكذبه وبعض البشر كانوا يصدقونه ويكذبون عقولهم، لكي يحصلوا على سعادتهم، هو يحضر لهم في وقت قصير جداً، ولكن زمنه في أذهانهم يدوم طويلاً، كان هذا المخلوق يتجول في مساء كل ليلة، وأوقات يكون بالنهار ولكنه يختفي حتى لا يراه أحد، يعمل في خفية،

تعلمون شيئاً الجن الكافر أحياناً يسيطر عليه ليحوله لشيء بشع ومظلم ومخيف، كأن لونه أحمر داكن، يصبح مخلوقاً مرعباً، وصوته عالٍ كالمجنون في تصرفاته، يجول بين البشر ليفزعهم ويجعلهم ساكنين من الفزع، هذه المخلوقات جميلة حقاً، ولكن عندما يسيطر عليهم يكونون مرعبين ومزعجين.

لا نعلم نحن البشر من أين تأتي هذه المخلوقات الجميلة، ولكن الأهم أننا نشعر بوجودها.

ونظرت لهم رأيتهم منتبهين كثيراً حتى مجدولين ومولين يستمعان بانتباه، لاحظت أن الشغف يمتلكهم ليعرفوا ما هي هذه المخلوقات.

ـ قلت لهم: أتريدون أن تعرفوا ما هي هذه المخلوقات الجميلة؟

ـ قالوا بصوت واحد: نعم.

ـ نظرت لوجوههم وقلت: إنها الأحلام.

هذه المخلوقات التي نحبها وننام حتى نسعد بتخيلاتها، ونعيش معها أحلى أوقات.

ـ مولين: نعم يا حياة نحن نعرفها جيداً وبعضنا يسيطر عليها، هي صنيع أدمغتكم وليس كما وصفتِ، هي فعلاً أشياء تسعد بها البشر.

ـ قالت موادا: سأحضر لكِ اليوم وأنتِ نائمة وأحضر لكِ حلماً جميلاً

ـ قلت: ماذا؟

نظرت لوالدها مولين وقالت:

ـ لقد تعلمته مؤخراً، ولكن سأهيئ لكِ حلماً شيقاً، بماذا يمكن أنتِ تحلمين وأنا سأجعلك تشعرين به.

ـ مجدولين: موادااا، لا، قلنا لا نستعمل السحر أبداً فهمتي..

ـ نظرت تحتها وقالت: نعم يا أمي.

منعت نفسي من تدخلي بينهم وأنا لا أعلم عن عالمهم الكثير، ولكن قلبت الحوار وحظيت بوقت ممتع معهم هذا كله وعيون صدلغيم معي لا تفارقني ولكنها بعيدة عني، ولكن عندما أنظر لهن أفزع منهن وهن لا ينظرن إلا لي فقط.

تركتهم وذهبت إلى غرفتي لأنعس وأحظى ببعض الراحة، كان مجدان قلقاً عليّ، ولكن طمأنته وقلت له أن يأخذ جولة ويتركني وهو الذي كان رفيقي في كل خطوة أخطوها..

بعد زمن أفقت كان هناك طعام في فمي، كان طعمه بشع ابتلعته دون رضا مني، أفقت ورأيت ملابسي عليها بعض الطعام وكانت رائحته بشعة، بدلت ملابسي وفتحت الباب لأترك الغرفة ووقفت.

كنت لا أعي إلى أين أذهب وما هذا المكان الذي أعيش فيه، كنت شاردة ولا أتحرك لكي أتذكر، أنا أين!؟

جاء في وجهي صدلغيم أخيراً وقد كنت أبحث عنه في كل مكان، جاء يبتسم وهو يفتح ذراعيه ليحتضنني كنت أشتاق إليه كثيراً، دخلنا غرفتنا وبدأ بحديثه الشيق وكلامه المعسول، آه من هذا الجني، كم هو في غاية الجمال ورائحته ذكية.

عشنا مع بعضنا ليلة مثل ليالي العيد التي لا تنتهي، كان كثير المزاح وكثير الأحضان والقبلات، اقترحت عليه أن يأخذني ويطير بي.

وكانت أجمل جولة في حياتي، كان يطير بي وهو ممسك يدي وبين الحين والآخر ينظر إليّ بشوق، كانت لمسة يديه مثل البرق وندى الصباح في آن واحد.

كنت أنجذب إليه في كل لحظة وكل دقيقة أنا له وهو لي فقط، هو حبيبي وعشقي وبهائي.

بعدها حملني بين يديه بكل حنان وذهب بي إلى السرير لأنام أمسكت يده ووضعتها حول خصري ونمت وأنا مطمئنة..

كل يوم وأنا بجواره كأنه ألف يوم من السعادة والهناء كنت أنظر له فقط، لا أريد أن أنظر لغيره..

ولكن جاء مجدان وفتح الباب بشدة وقال:

ـ أين أنتِ؟

ـ لماذا لا تريدين رؤيتنا؟

ـ نظرت له وقلت: إنني سعيدة هنا، وإذا جئت لا تعكر مزاجي لا تفعل وهلم بالمغادرة هيا!!!.

ـ نظر لي وقال: أنتِ لست كالسابق لماذا؟ ماذا بكِ؟

إذا كنت تريد شيئاً قل وإذا لم ترِد اذهب من أمامي، وإلا أمرت الجن أن يخرجوك بالقوة، لا أريد تعكير صفوي.

بعدما خرج شعرت بالارتياح كثيراً، كان عليّ انتظار صدلغيم ملكي وحبيبي.

الفصل السابع عشر

سحر قوي

وفي يوم كنت واقفة في الشرفة أنظرُ بتعالٍ، وأنظر إلى الجن الطيار من حولي كنت اعتدت على النظر إليهم كثيراً، وألفتهم هذه هي دنيتي التي كنت أحلم بها وأعيش من أجلها.

وفجأة وجدتني أطير ضحكت وقلت: ولماذا تفاجئني يا صدلغيم!

تعرف أنني أعشق الطيران معك، حتى نظرت ووجدت مجدان الذي يحملني وكانت عيناه كلها غضب.

ـ قلت: أنزلني في الحال هيا، ولكن لم ينتبه لي.

حدثته ثانياً: ماذا تريد مني؟ أنزلني هيا، أين تأخذني؟

نظرت بعيداً وجدته يبعد عن المملكة كثيراً، قلت: أرجعني في الحال الآن.

ولكن لا يستمع لكلامي أبداً، ذهب بي بعيداً جداً جداً كان يطير بي بين السحب لا أعرف أين يأخذني وماذا يفعل بي، فزعت منه كثيراً كنت أتمنى أن يجدني صدلغيم ويعاقبه على فعلته.

كان يسمعني وقال لي:

ـ لماذا تريدين منه أن يعاقبني، ماذا فعل بكِ لكل هذا، الآن سنعرف ماذا فعل..

أنزلني بمكان كله هضاب ووقف في حيرة كنت أنظر له بخوف، كأنه ينتظر أحداً.

ـ قلت: ماذا بعد؟!

نظر لي بغضب وهو صامت، جلست على الأرض وأنا صامتة جاءت مجدولين ومولين ومعهما شيء يخفيانه، كانا يحدثاه أن ينظر إلي ويقول لهما ماذا بي.

وسمعت صوته البشع وهو يتحدث وقال: بأنني أكلت سحراً، والذي أطعمني هذا السحر أكون في طوعه وتحت كنفه، وأنفذ له كل أوامره وأنه سحر قوي هو لا يقدر على إبطاله إلا إذا.... وصمت....

نظرت باستغراب وقد اختفوا فجأة بعدما سمعت ذلك، علمت أنهم يتحدثون معه وبالتأكيد بشأني، ولا يريدون أن أستمع لكلامهم، وقد كنت لا أصدقه، وأنا أعلم أن صدلغيم يحبني ويعشقني ولا يريد بي سوءاً، هم قوم بلهاء. ظهروا أخيراً وقد حملتني مجدولين وطارت بي، ومعنا مولين ولكن لا أرى مجدان أبداً.

أخذوني لمكان تحت الأرض كأنه جُحر، كنت خائفة منهم وأنا أرى نظراتهم لي مرعبة، كنت أريد الهروب ولكن ماذا وأين وهم طوال الوقت متيقظين..

يا ويلي يا ويلي أين أنت يا صدلغيم؟ هيا احضر وخذني من هذا المكان الموحش وهؤلاء الجن الوقحين.

كنت طول الوقت أتوعد لهم بالعذاب، وما الذي أفعله بهم عندما يجدني صدلغيم.

كنت أنام كثيراً حتى لا أراهم وهم ينظرون لي بوحشية كأنهم سيأكلوني، كنت أرفض طعامهم البالي، ويوجد على لساني كلمات قلائل أريد أن أذهب لصدلغيم.... ابتعدوا عني. سأقتلكم يا جن يا كفرة.

وفي مرة كنت أتوعد لهم بالقتل وكنت أتحدث بغضب نظرت لهم وفجأة أعصابي شدت وشبه شلل تملك كل أطرافي، وكاد أن يغشى عليّ وأغمضت عيني، نظرت لهم كانوا ينظرون لي باندهاش، وأتت مجدولين لتمسكني كادت روحي تخرج مني ولكن أفقت سريعاً، ونظرت لهم وقد شعرت بارتياح، وقلت:

ـ أين مجدان؟

تحسنت كثيراً وتذكرت نور وآدم وتذكرت اشتياقي لهم، وجاء مجدان ونظر لي وقال:

ـ كل شيء انتهى يا أمي لقد أخذت بثأرك أخيراً.

وحملني دون أن أتكلم وذهب بي، ظل طائراً بي حتى وصلت إلى جبل أو ممكلة صدلغيم، ووقف بي وقال:

ـ انظري ها هو الوحش الذي أخافك كثيراً ها هو ميت الآن.

ـ نظرت له وقلت: من هذا القبيح؟ قال إنها جثة صدلغيم إنني قتلته، قتلته لأجلك فقط.

لا تعلمين ماذا فعلت لأقتله، إنني تعبت يا أمي ولكن لأجلك أفعل أي شيء.

ها هو يرقد بجانب والده الذي قتله، ووالده هكذا يرقد بجانب والده الذي فعل به مثلما فعل به ولده.

القاتل يُقتل ولو بعد حين، هكذا تقولون، أصحيح؟!

نظرت للذي يحدثني بشأنه وقلت:

ـ هم أجداد صدلغيم؟ كنت أحسبهم تماثيل أمام القصر، ولكنهم قتلوا أباءهم، ولكن هذا ليس صدلغيم، لا لا ليس هو يا مجدان هو لا يشبهه على الإطلاق..

ـ مجدولين: هو يا أمي ولكن كان يتشبه لكِ بأحسن حال حتى لا تفزعي.

نظرت له بقرف وإعياء شديد من كثرة قبحه.

ـ وقلت: ولكن أنت يا مجدان ماذا يحدث لك الآن؟ هل جنود صدلغيم سيقتلونك؟

ـ لا يا أمي لقد أصبحت ملكاً الآن على كل هؤلاء الجن، لا تخافي علي.

لا أخاف كيف وأنت قلت القاتل يقتل ولو بعد حين، وأنت الآن ملكاً على الجن، ماذا إذا قُتلت؟

ونظرت له بشفقة.

ـ قال: لا تخافي فإنني سأصبح ملكاً عليهم ولكن ملكاً مسلماً وليس بكافر، وسأغير القوانين وأغير كل شيء لأجل الصالح.

أنتِ تعبتِ كثيراً مؤخراً من سحره الذي أطعمك إياه لتكونين تحت طوعه، الآن أنتِ حرة، ووجب عليكِ الراحة، ولا تخافي أبداً أنا ومجدولين سنكون بجوارك أينما تكونين وأي مكان تختارين.

ابتسمت لهم وقلت مثلما قلت في السابق أنا بجوار ولدي نور وزوجي آدم، هذه هي حياتي لا أريد غيرها.

احتضنني مجدان وقد رأيت البياض في كل مكان وكل شيء تذكرت في لحظتها أنني أخيراً سأرى ولدي نور، أحسست بابتسامة على شفتيّ، وفتحت عيني ونظرت لسقف بيتي، وها أنا على سريري وبغرفتي وسمعت صوتاً شجياً يقول: أمي...!

الختام

كان حفل تتويج الملك الجديد، وكانت كل الجان حاضرة في قاعة القصر وعلى الماء، كانوا كُثر أتوا من كل مكان ليروا الملك الجديد، الذي يختلف عن أجداده، كان الحشد كبيراً جداً لا توجد له نهاية.

وأخيراً...

تحدث الملك الجديد وقال: أيها الجن أنتم الآن تنظرون إلى ملككم الجديد، والجديد في كل شيء وكل القوانين ستتغير وسنضع غيرها، لا ظلم ولا قهر ولا اغتصاب، سيسود العدل والمساواة والمشورة ستكون في الأولوية نحن جن، نحن قوم عظيم وسنبقى أعظم إذا تمسكنا بقوانينا، قوانين الخليقة القوانين التي حددها الله لنا، نحن خلق الله لا نتعالى عليه ولا تأخذنا شهواتنا ضد هذه القوانين وتفعل بنا الأفاعيل.

هذه هي قوانيني التي سألتزم بها، ومع العدل والمساواة الذي تحدثت عنهم يوجد القوة الغضب والموت للذي لا يلتزم بهذه القوانين والذي يحيد عن مسارنا ليس له مكان هنا، وإذا وقف في مسارنا ومنهجنا سندهس عليه سنمحيه من على وجه الأرض..

هذا أنا وهذه قوانيني وقوانينكم وهذا هو نهاية الحديث.
كان هناك ترحيب من بعض الجن وهتاف أيضاً، وكان يوجد نظرات غير موالية له، بعض الجن ذهبوا فوراً وبعضهم ظلَّ لنهاية الاحتفال، وكان منهم مجتمعاً في مكان ما خلف هذا الحشد الكبير يتوعدون لقتل مجدان....

ـتمت بحمد اللّه ـ

إهداء ثانٍ

لكل من دعمني وعلم بمعنى أفكاري ووثق بقلمي ومعناه قبل أن أنتبه لذلك...

إلى..

زوجي الحبيب السيد فؤاد معلمي الأول..

وأصدقاء الدرب malla zangana..

منى الموجي ...

ميادة محمد..

سلوى النجار..

آية أشرف ..

وإلى أبي الحبيب الغائب رحمة الله عليك

داليا مسعد

محتويات الرواية

إهداء.....5
الفصل الأول 6
عيون الظلام..... 6
الفصل الثاني 19
قرين والدي..... 19
الفصل الثالث 31
جسدٌ بلا روح..... 31
الفصل الرابع 44
بلا عقل..... 44
الفصل الخامس..... 55
تحت الأرض..... 55
الفصل السادس..... 66
حياة جديدة..... 66

الفصل السابع 71

اختفا ء نور..... 71

الفصل الثامن..... 76

القبر ثانيةً..... 76

الفصل التاسع 82

صدع الأرض 82

الفصل العاشر 88

غنواق ساحر الجن 88

الفصل الحادي عشر..... 95

مولين..... 95

الفصل الثاني عشر 103

معصبة العينين..... 103

الفصل الثالث عشر 110

مجدولين 110

الفصل الرابع عشر 117

الاتفاق المشروط..... 117

الفصل الخامس عشر 123

عيون مُخيفة..... 123

الفصل السادس عشر 130

المخلوقات الجميلة 130

الفصل السابع عشر 136

سحر قوي..... 136

الختام..... 142

إهدا ء ثانٍ 144

محتويات الرواية..... 145

عيون الظلام "صدلغيم"

رواية

داليا مسعد

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com